سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (39) | 17 / 6 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

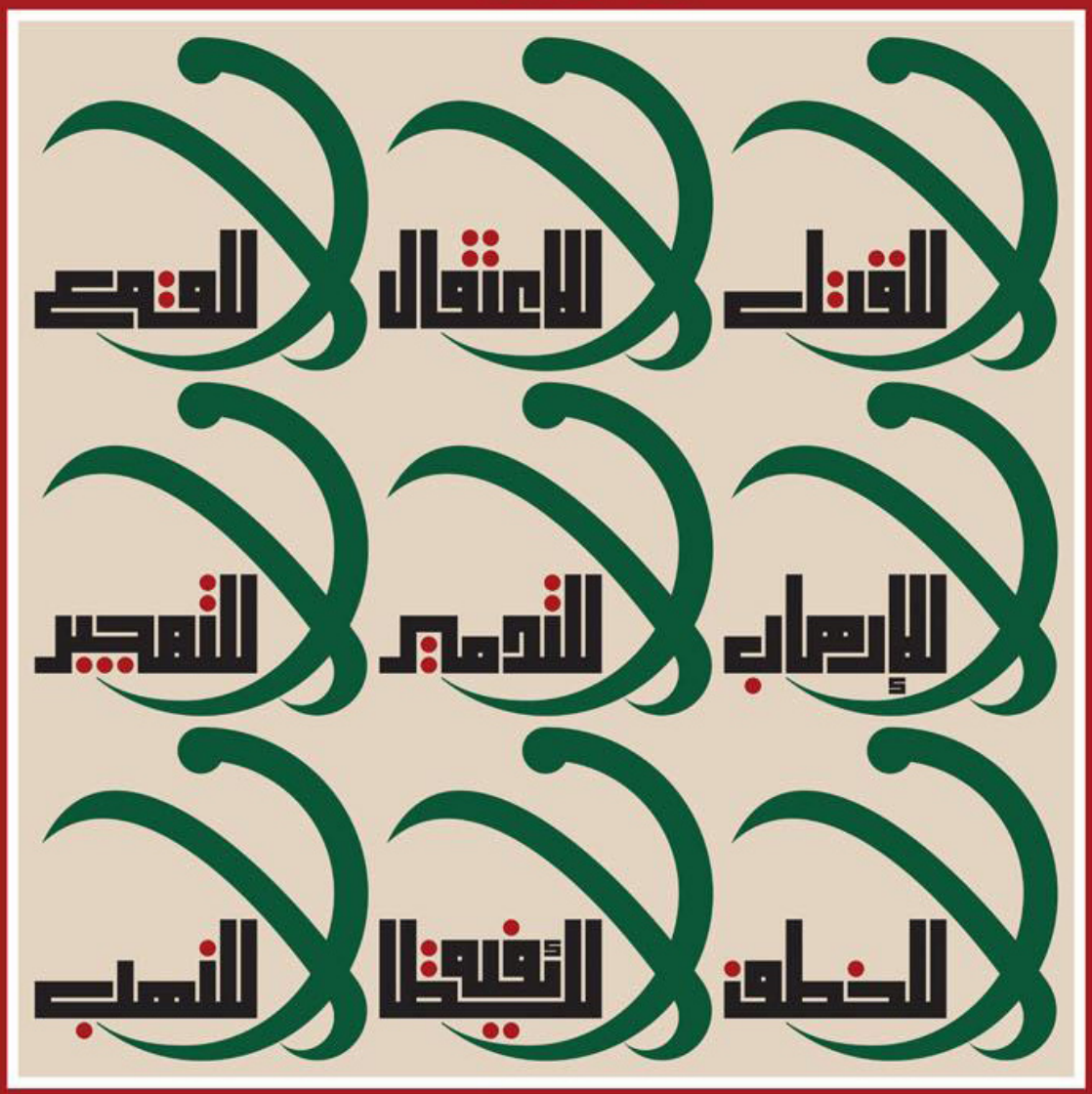

عمل للفنان منير الشعراني

الاغتصاب والعنف الجنسي: سلاح الأسد ضد ثوار سوريا

امرأة تحكي عن قتل فتاة واغتصاب 3 أخريات دون سن الثانية عشرة

أكدت منظمة هيومن رايتس ووتش، أن القوات الحكومية في سوريا استخدمت الاغتصاب وأشكال أخرى من العنف الجنسي ضد الرجال والنساء والأطفال خلال الانتفاضة السورية.

وذكرت المنظمة المعنية بحقوق الإنسان، ومقرها الولايات المتحدة، أنها سجلت 20 واقعة خلال مقابلات داخل سوريا وخارجها مع 8 ضحايا، بينهم 4 نساء، وأكثر من 25 شخصا آخرين على علم بالانتهاكات الجنسية، من بينهم عاملون في المجال الطبي ومحتجزون سابقون ومنشقون عن الجيش ونشطاء في مجال الدفاع عن حقوق المرأة.

وقالت سارة لي ويتسون، مديرة منطقة الشرق الأوسط في المنظمة، إن العنف الجنسي أثناء الاحتجاز هو أحد الأسلحة المروعة العديدة في ترسانة التعذيب الخاصة بالحكومة السورية، وتستخدمها قوات الأمن السورية بانتظام لإهانة وإذلال المحتجزين دون أي عقاب.

وأضافت أن الاعتداءات لا تقتصر على مراكز الاحتجاز، فالقوات الحكومية والشبيحة الموالون للحكومة اعتدوا جنسيا أيضا على نساء وفتيات خلال مداهمة منازل واجتياح مناطق سكنية، نقلا عن تقرير لوكالة رويترز.

الاعتداءات تتصاعد في حمص

وترد أنباء عن حالات اعتداء جنسي من مختلف أنحاء سوريا، ووقع معظمها في محافظة حمص، أحد معاقل الانتفاضة.

ونقلت هيومن رايتس عن رجل قال إنه احتجز في فرع الأمن السياسي في اللاذقية في زنزانة مع أكثر من 70 آخرين. وذكر أن "الصبية كانوا يلقون معاملة أسوأ من البالغين، ويعادون إلى الزنزانة بعد تعرضهم للاغتصاب وخلع أظافرهم".

وأضاف الرجل أن "أحدهم جاء إلى الزنزانة وهو ينزف من الخلف. ولم يكن يستطيع السير. وكانوا يفعلون ذلك بالصبية فقط. كنا نبكي من أجلهم".

وذكرت المنظمة أن كثيرا من الاعتداءات وقعت في ظروف كانت تتيح للقادة من الضباط أن يعرفوا بجرائم مثل صعق الأعضاء التناسلية بالكهرباء.

امرأة: قتلوا فتاة دافعت عن نفسها

وخلال مقابلة مباشرة أخرى، قالت امرأة من حي كرم الزيتون بمدينة حمص إنها سمعت قوات الأمن والشبيحة وهم يغتصبون جاراتها، بينما كانت تختبئ في شقتها في شهر مارس/آذار.

ونقلت المنظمة عن السيدة قولها "سمعت إحدى الفتيات وهي تقاوم أحد الرجال، دفعته بعيدا فأطلق الرصاص على رأسها".

وأضافت أن "3 فتيات، أصغرهن تبلغ 12 عاما، اغتصبوا بعد ذلك. وبعد أن غادر الرجال توجهت المرأة لترى جاراتها".

وتابعت: "كان المشهد يفوق الخيال. الفتاة ذات الإثني عشر عاما كانت ترقد على الأرض والدماء تصل إلى ركبتيها، اغتصبها أكثر من شخص. لن أعود إلى هناك أبدا. تطاردني الذكريات حتى في أحلامي وأبكي".

ضحايا الخوف والعار

وقال بعض الأشخاص، الذين قابلتهم هيومن رايتس، إن الضحايا لم يكونوا يريدون أن تعرف أسرهم بسبب الخوف أو العار. وذكرت هيومن رايتس أن إحدى ضحايا الاغتصاب كانت تريد أن تلتقي بالمنظمة، لكن زوجها منعها.

وأكدت المنظمة أن "ضحايا الاعتداءات الجنسية في سوريا لا يتاح لهم الحصول على علاج طبي أو نفسي أو خدمات أخرى".

ويحتاج ضحايا الاعتداء الجنسي للحصول على الخدمات الطبية الطارئة والمساعدة القانونية والدعم الاجتماعي لعلاج الإصابات التي سببها الاعتداء، ومنع الحمل والإصابة بفيروس اتش. اي. في، المسبب للايدز، وغيره من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، ولجمع أدلة للمساعدة في تعقب الجناة.

الهجمات ضد المدنيين في سوريا قد تشكل جرائم ضد الإنسانية

أعلن المستشاران الخاصان لأمين عام الأمم المتحدة والمعنيان بمنع الإبادة الجماعية أن عمليات القتل الجماعي للمدنيين في قريتي الحولة والقبير السوريتين والاعتداء على النساء والأطفال وقتلهم بوحشية من مسافة قريبة يمثل تصعيدا مروعا.

وأكد المستشاران الخاصان لأمين عام الأمم المتحدة في بيان لهما أن التقارير الواردة من سوريا والتي تتحدث عن عمليات قتل جماعي وقعت أثناء الهجمات وعمليات القصف التي شنتها القوات الحكومية على أحياء سكنية والبنية التحتية المدنية قد تشكل جرائم ضد الإنسانية وتؤكد تقاعس الحكومة السورية عن حماية شعبها.

وفي الوقت الذي طالب فيه المسؤولان الأمميان بوقف الأعمال والهجمات التي تستهدف المدنيين السوريين فورا طالبا بمنح بعثة مراقبي الأمم المتحدة في سوريا كافة التسهيلات التي تضمن وصول المراقبين إلى كل الأماكن التي تريد التحقق مما يجرى فيها من انتهاكات أو عمليات قتل ودون وضع أية عراقيل أمام المراقبين.

ودعا المستشاران مجلس الأمن إلى إعادة النظر في طلب المفوضة السامية لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة والخاص بإحالة الحالة السورية إلى المحكمة الجنائية الدولية.

منظمة العفو الدولية: الحكومة ترتكب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في سوريا

اتهمت منظمة العفو الدولية الحكومة السورية بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية حسب ما أوردته شبكة بي بي سي البريطانية.

وقالت المنظمة أن "موظفيها تحدثوا أثناء جمعهم للمعلومات إلى أكثر من 200 من سكان 23 بلدة وقرية في سوريا منذ منتصف شهر نيسان الماضي".

واتهمت المنظمة الحكومة السورية بقتل وتعذيب المدنيين وحرق المنازل والحقول والمحاصيل وإطلاق النار على الماشية.

ونقلت بي بي سي عن دوناتيلا روفيرا كبيري مستشاري أمنستي للأزمات إن "قوات الحكومة السورية تستهدف المدنيين بصورة متعمدة".

وأضافت أن "القوات الحكومية تستهدف المدنيين بلا هوادة، حيث تقصف البلدات والقرى وتقتحم المنازل للقبض على الشباب وإعدامهم أمام أسرهم ثم تحرق منازلهم".

وكان الأمين العام المساعد لمفوضية حقوق الإنسان، إيفان سيمونوفيتش اتهم خلال برنامج على شبكة سي أن أن الحكومة السورية بارتكاب "جرائم ضد الإنسانية".

وسبقته في ذلك المفوضة السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، نافي بيلاي، أواخر آذار الماضي، حين تحدثت عن توافر أدلة كافية لتقديم الرئيس بشار الأسد إلى المحكمة الجنائية الدولية، بتهم ارتكاب "جرائم ضد الإنسانية. "

كلام ردت عليه وزارة الخارجية السورية في رسالة وجهتها إلى المنظمة الدولية أعلنت فيها عن رفض سوريا للتصريحات التي أدلت بها المفوضة الأممية قائلة "يبدو أن المفوضة نسيت عملها كمفوضة لحقوق الإنسان، وانتقلت لتولي مهمة المدعي العام، ضد الدول التي تختار استهدافها الدول الغربية".

السفير البابوي في دمشق: سوريا «تنحدر نحو الجحيم» من الناحية الإنسانية ونرفض مصطلح الحرب الأهلية

اعتبر السفير البابوي في سوريا المونسنيور ماريو زيناري أن «انحدارا نحو الجحيم قد بدأ في سوريا»، مؤكدا أن على المسيحيين أن «يضطلعوا بدور الجسر».

و رفض السفير البابوي في مقابلة مع إذاعة الفاتيكان تبني موقف من مصطلح «الحرب الأهلية» الذي بدأ المجتمع الدولي استخدامه لوصف تدهور الأوضاع في سوريا.

وقال «الانطباع السائد أن انحدارا إلى الجحيم قد بدأ من الناحية الإنسانية»، مشددا على أن «رسالة المسيحيين هي الاضطلاع بدور الجسر على كل الصعد».

وأضاف «إنهم يتحركون في ظروف مؤلمة جدا، مثلا في حمص، حيث لدينا كهنة ودينيون يتصرفون في شكل مثالي مجازفين بحياتهم. إنهم يؤدون دور جسر عبر محاولة الحصول على وقف لإطلاق النار أو إخراج أشخاص» من إحياء علقوا فيها.

وحذر زيناري من معلومات أوردتها وسائل إعلام عن عمليات اضطهاد يتعرض لها المسيحيون على أيدي بعض الجماعات المعارضة المسلحة.

وكانت وكالة «فيديس» التبشيرية الكاثوليكية تحدثت الثلاثاء عن نزوح كثيف للمسيحيين من إحياء مثل القصير قرب حمص.

وأضافت الوكالة إنهم اجبروا على الرحيل بعد إنذار وجهه فصيل مسلح معارض بقيادة الضابط «عبد السلام حربة».

وتابع السفير البابوي «حتى اليوم، يمكنني القول أن المسيحيين يتقاسمون المصير المحزن لجميع المواطنين السوريين و لا أقول أن ثمة تمييز محددا بحقهم ولا حتى اضطهادا».

و أضاف» من المهم أن نكون يقظين وان نرى الوقائع على حقيقتها، لن أسارع إلى المقارنة بين وضع المسيحيين في سوريا ووضعهم في بلدان أخرى في المنطقة. أحيانا، ثمة مقارنة مع العراق ولكن هذه المقارنة لا تجوز».

مصرفيون: سوريا تطبع نقوداً لتمويل العجز

قال مصرفيون في دمشق أن سوريا طرحت نقودا جديدة للتداول لتمويل العجز المالي مما يجعلها عرضة لارتفاع التضخم بعدما بددت أعمال العنف والعقوبات إيرادات البلاد وأدت لانكماش اقتصادي شديد.

وصرح أربعة مصرفيين في دمشق لرويترز بأن أوراقا نقدية جديدة طبعت في روسيا تتداول بكميات تجريبية في العاصمة وحلب وهي أول خطوة من نوعها منذ اندلاع الانتفاضة الشعبية ضد الرئيس السوري بشار الأسد في 2011.

وقال المصرفيون الأربعة أن الأوراق الجديدة لن تستخدم كبديل للقديمة المتهالكة فحسب بل لضمان دفع الرواتب وغيرها من النفقات الحكومية. ويقول اقتصاديون أن تلك الخطوة قد تؤدي لرفع التضخم وتفاقم الأزمة الاقتصادية.

وتقول الأمم المتحدة أن قوات الأسد قتلت ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص بينما أعلنت الحكومة مقتل أكثر من 2600 من أفراد قوات الأمن السورية.

وقال المصرفيون الأربعة ورجل أعمال على صلة بمسؤولين أن النقود الجديدة طبعت في روسيا ولكنهم أحجموا عن ذكر اسم الشركة التي طبعتها. وقال اثنان من الأربعة أنهما تحدثا إلى مسؤولين عادوا في الآونة الأخيرة من موسكو حيث جرى بحث الأمر.

وقال احد المصرفيين الذين طلبوا جميعا عدم الكشف عن هويتهم "أرسل (الروس) عينة من الأوراق النقدية وتمت الموافقة عليها وسلمت الطلبية الأولى. اعلم أن بعض الأوراق الجديدة ضخت في السوق".

وقال مصرفيان كبيران آخران في دمشق أنهما سمعا من مسؤولين أن الطلبية الأولى التي لم يكشف عن حجمها وصلت إلى سوريا من روسيا ولكنهما لم يتمكنا من تأكيد بدء تداولها.

وقال وزير المالية السوري محمد الجليلاتي الأسبوع الماضي أن سوريا بحثت طبع العملات الورقية الجديدة مع المسؤولين الروس خلال محادثات اقتصادية في نهاية مايو أيار في موسكو. وقال أن الاتفاق اكتمل تقريبا دون الإفصاح عن تفاصيل.

وفي وقت لاحق نفى البنك المركزي من خلال وسائل الإعلام التابعة للدولة تداول عملات ورقية جديدة.

وتطبع جوزناك -الشركة الحكومية التي تشغل مطبعة النقود الروسية وتمتلك الحقوق الحصرية للحصول على تكنولوجيا الطباعة- عملات ورقية لدول أخرى بانتظام. وأحجمت الشركة عن التعليق.

وروسيا من أكبر الداعمين السياسيين لسوريا وشريك تجاري واقتصادي وثيق. وليس في العقوبات ما يمنع شركة روسية من طباعة أوراق نقدية لسوريا.

وكانت سوريا تطبع عملاتها من قبل في النمسا في شركة تابعة للبنك المركزي النمساوي. وقال متحدث باسم البنك المركزي النمساوي أن هذا الاتفاق علق العام الماضي بسبب عقوبات الاتحاد الأوروبي.

ووصف احد المصرفيين الأربعة قرار استخدام عملات ورقية مطبوعة حديثا في روسيا لسد العجز بأنه "ملاذ أخير" بعد دراسة الأمر لعدة أشهر.

وتنامى العجز في سوريا نتيجة تراجع إيرادات الحكومة وفقد صادرات النفط التي تعثرت بسبب العقوبات. ولا ترغب الحكومة في فرض إجراءات مرفوضة شعبيا لمواجهة العجز مثل خفض الدعم وزيادة الضرائب.

وقال رجل الأعمال المطلع على الموضوع والذي له اتصال بمسؤولين في قطاع النقد "العجز قائم وآخذ في النمو بالفعل بل وينمو بسرعة. قرروا طبع عملات ورقية لتمويله".

وقال مصرفيون أن الأولوية للاستمرار في دفع الرواتب لأكثر من مليوني موظف في الدولة وهم جزء من القوة العاملة في البلاد التي قوامها 4. 5 مليون من السكان البالغ تعدادهم 21 مليون نسمة.

وقال احد المصرفيين "لا يمكن السماح بانهيار القطاع العام. يصرف العاملون أجورهم ولن تكون هناك شكوى إذا حصلوا على أجورهم في نهاية كل شهر. إذا وصلنا لمرحلة لا يحصلون فيها على أجورهم ستكون هناك أزمة".

وميزانية سوريا لعام 2012 البالغة 27 مليار دولار هي الأكبر في تاريخها وقد فاجأت كثيرين. ويقول مصرفيون أن الدافع لزيادة الإنفاق هو الرغبة في خلق مزيد من الوظائف في القطاع العام والإبقاء على الدعم لتفادي اتساع نطاق حالة الاستياء.

واضطر القطاع الخاص للاستغناء عن عدد كبير من موظفيه ولكن العاملين في القطاع العام احتفظوا بوظائفهم ولم تتأثر أجورهم بالرغم من تجميدها عند مستوياتها الحالية.

وثبت أن تمويل الإنفاق أمر صعب. وقال أحد المصرفيين الأربعة أن البنك المركزي تجاوز الحد الأقصى للاقتراض من البنوك العامة وتحجم البنوك الخاصة عن شراء السندات الحكومية.

وتجاوزت نسبة التضخم بالفعل 30 في المئة إلا أن البنك المركزي يقول إنها يمكن السيطرة عليها.

وأنفقت السلطات أموال الدولة على الدعم لتبقي أسعار خدمات المرافق للمنازل والبنزين دون تغيير وأعلنت عن فرض قيود على أسعار السلع الأساسية. ولكن أسعار الكهرباء للصناعات الكبرى ارتفعت بنسبة 60 في المئة وزاد أيضا سعر وقود الديزل المدعوم.

وقال أحد المصرفيين إن السلطات تنوي ضخ كمية قليلة فقط من العملات الورقية الجديدة حتى لا يتفاقم معدل التضخم.

وأضاف "ثمة حد لكم النقود الجديدة التي يمكن ضخها في الاقتصاد في مثل تلك الأوقات التي تتسم بضبابية شديدة. التهور في طبع النقود كوسيلة لالتقاط الأنفاس على المدى القصير قد يكون انتحارا اقتصاديا".

أوجـــاع وطـــن

إلى من في الداخل : «سحقاً» و«تباً لكم»

■ فادي عزام

أعرف أن الألمَ السوري اليوم بات «مُنغصاً» مانعا للشهية، يحذّر من النظر إليه ويهربُ العالمُ حتى من السماع عنه.

المقاهي مكتظة لمتابعة بطولة أوربا: الحياة تمضي بسلام، والناس هنا يعيشون التفاصيل التي نسيتُها حقا، أين سنسهر؟ الانشغال بالتخطيط للإجازة قادمة ؟ السيارة والبيت... إلخ.

وأنا أعيد الفيديو ذاته منذ الصباح - الطفل السوري المصاب بشظية وهو يلفظ أنفاسه أمام عجز والده والطبيب الذي لا حول له - الكاميرا التي تراقب بطنه وهو ينتفخ وروحه وهي تخرج على مهل..

وأسأل الآن في غربتي الهشة ماذا أفعل؟.

هل أرسلُ تبرعا؟ أناشد أصدقاء أجانب أرجوهم أن يتضامنوا مع طفل لفظ أنفاسه على مهل؟.

أجمع ملابساً لضيوف الأردن ولبنان وتركيا أو أذهب للندب على السكايب؟.

هل أتخانق مع صديق على أفضلية دعم السلمية أو دعم الجيش الحر؟.

لا أعرف هل هذا يجدي أم لا..؟.

ماذا أفعل؟...

هل أردّ على «قريب» تنساحُ منه دهون النذالة، تعبق روائح عرقه الزنخ ممزوجة بكثافة حُضوره وسفالة منطقه وانتهازية صفاقته، يروج في مدينتي أني غيرت اسم عائلتي إلى «العرعور».

هل أرسل له «إيميل».. أشتمت به لأن من لحس أحذيتهم وضعوا له «بعصة» جعلته يصبح مَضحكة كمرشح شرشوح لمجلس الشعب مثل أي جيفة تستجدي مؤخرة لتمدها بالمزيد..

هل لي القدرة أو «الخُلق» على ذلك؟..

ماذا يجب أن يفعل الجالسُ في الخارج على خوازيق الأخبار وينام على دبابيس الألم وإذا ما طنشّ قليلا، أو أصابته فرحة طائشة، يعاقب نفسه بالجَلد المتوصل كالمشارك الهائج في كربلاء.. ماذا أفعل ؟

ماذا أفعل؟.. أكتب مقالا عن ثورة شعب «ما برح» يذهل العالم. «ما فتئ» يخلخل ميزان التاريخ بإصراره على الموت علها توهب له الحياة. هل يحتاج شعبنا اليوم لهذا الإنشاء الممجوج فعلا ؟

هل أشارك في تحرير صفحة مملة على الفيسوك؟ هل أنجز مشروعا وعدت أصدقائي أنّ أنهيه منذ أكثر من أسبوعين؟.

هل أبدأ النميمة على من كان يضع سيجارا غليظا لدرجة تثير التقزز في فمه، ويلقلق ويفتن ويطق براغي مثل أي نذل ممن خرجتهم إسطبلات الثقافة السورية. ماذا أفعل؟.

ربما لدي رغبة الآن أن أقول: إني لم أحب زكريا تامر ويا ليتني لم ألتقيه. ولكن هذا لا يعني أبدا أنه ليس كاتبا كبيرا وخاصا وفريدا، أحب النمور في اليوم العاشر، وقصتين في مجموعة «تكسير ركب» ولم يعجبني صهيل الجواد الأبيض وأجد ما يكتبه في المهماز. قياسا بما يكتبه الشباب المجهول المحكوم بالتجاهل اليوم .....«بلا ما أحكي».

ماذا أفعل لبلدي ؟

أشعر بالعجز بالألم يخترقني أحاول أن لا أقرأ أرقام الشهداء أحاول أن ألفظ أسمائهم أتخيل إشكالهم أحاول أن لا أزيح نظري عن أي فيديو مرعب.

أحاول أن اعتني بعائلتي وابني أحاول أن أهتم بعملي أحاول أن أبقى متفائلا متماسكا. أحاول أن اكتب شيئا سخيفا لأكسر جدية صفحتي، ماذا أفعل هنا ؟ أحاول أن أكتب شيئا مؤثرا أحاول أن اجمع ولا افرق أن أذوب ولا أستعرض أن أصدُق ولا أكذب، أن أهمس ولا أصرخ..

أنا الموجود بالخارج فكرت بكل ذلك ولم أفعل، أشعر بالظمأ الحارق بالوحشة بالتقصير بالخواء. ماذا أفعل ؟.

هل لدى أحدكم أن يساعدني؟ ويقول لي ماذا أفعل ؟ لشعبنا الذي يذبح؟ لسوريا التي تنزف، لبلدنا الذي نحره السفاح كي يبقى يستبيح المكان والزمان.

ماذا أفعل أنا الموجود بالخارج، خارج نطاق الموت خارج نطاق الهواء المشبع بالانتظار والحرية والبارود خارج دمشق، خارج نفسي؟. ماذا أفعل خارج البلد خارج الحكاية خارج التاريخ الذي يكتب اليوم بدماء أبناء سوريا؟.

«لمن هم في الداخل؛ داخل المدى الأقصى والمجدي للقذيفة والطلقة والشظية والهراوة والشتيمة والرعب»

تباً لكم..

سحقاً كم فضحتنا دماؤكم !

ها أنا الآن أفعل شيئاً.. أدخن..

الثـــورة الســـورية:
بين إرادة الشعوب ولعبة الأمم
قراءة في المواقف الدولية من الثورة

■ ياسر مرزوق

حين عكفت على كتابة زاوية وجوه من وطني لم أكن قد عقدت العزم على اختيار موضوع لملفنا الأسبوعي، وأخذت أقلب صفحات كتاب "جيل الهزيمة من الذاكرة" للدكتور "بشير العظمة" واستوقفتني الفقرة التالية والتي يلقي العظمة فيها الضوء على طبيعة الشعب السوري والتي وردت في الصفحة /193/ من الكتاب المذكور: "يقابل ما هو قائمٌ في مصر نقيضٌ له في سوريا، فهي أرض تضاريسها منوعة، سهول وأودية وجبال وأنهار وسواق، معدل الأمطار متباينٌ فيها بين الألف مليمتر وأقل من مئة، تكونت فيها التجمعات البشرية متناثرة، احتفظ كلٌ منها بتراثه ولغته أحياناً، تقطن في مناطق لا يموت الناس فيها محاصرين إذا اختلفوا مع جيرانهم... تجمعاتٌ تخشى الاغتراب والإخضاع والإذلال.... ولم تقم في سوريا سلطة مركزية قاهرة متصلة....

أعادتني هذه الفقرة إلى شطحات فيليب حتي وسعادة وآخرين وهو آراء لا نستطيع تجاهلها، مفادها أن السوريين القدماء هم حقاً من أسسوا للدولة المدنية الحديثة وللديمقراطية وبنوا أساساً مشى عليه الإغريق من بعدهم، هي ديمقراطية ممالك المدن، ففي كل مدينةٍ تقريباً نشأت دولة، ومع ما نشأ عندهم من دول فإنهم لم يتحاربوا وظلوا محافظين على صفة الشعب الواحد المتضامن في الحياة وكانت الزعامة تنتقل من مدينة إلى مدينة بعامل التقدم والكبر وازدياد المصالح والنفوذ وعملاً بالقاعدة الفلسفية الشهيرة "إن ما لاح ثبت" نجد أنه كان للشعب السوري الفرصة الأكبر في حياة ديمقراطية هو من لقنها لشعوب الأرض قاطبة، فالسوريون يساندهم التاريخ والجغرافيا في وطن يحمل كل مقومات الحرية، "فالتاريخ ظل الإنسان على الجغرافيا" والكلام هنا لفيلسوف الألمان الأكبر "هيجل" أوليس "شارل ديغول" القائل "إذا أردت فهم التاريخ فعليك النظر إلى الجغرافيا"، هي تميمة الحظ إذا تنعم بها سوريا، أغلقت الكتاب وعدت لواقعنا لأرى التميمة وقد أضحت "لعنة وطن" فالربيع العربي تلكأ في سوريا ودفع السوريون الثمن الأكبر بين أقرانهم.

في مسرحية "أنتيجون" التي تستند لنفس القصة التي طرحها "سوفوكليس" الإغريقي وتناولها عددٌ من المسرحيين في شتى العصور وصولاً "لآنوي" و "سلاكرو" يدور الصراع بين أنتيجون وأخيها كريون "الذي نازع أخاه بولينيس على الحكم وقتله" ويقوم على نظرة كل منهما إلى مبادئ الأخلاق المصطلح عليها، وفهم كل منهما لتلك التعاليم فكريون رجل واقعي يتمتع بدهاء السياسي، وهو يدعو إلى احترام القانون ولو احتاج الأمر لفرضه بالقوة، في حين لا تؤمن أنتيجون إلا بعدالة تبنى على الأخلاق، فيخضع كريون للواقع الملموس، أما أخته فترفض أن تقبل الأشياء على علاتها وتدافع عن المثل الأعلى، وفي حين يرى كريون عجز إرادة البشر وحدها عن تغيير الأوضاع القائمة، تؤمن هي بإمكانية هذا التغيير..... اليوم وفي مطالع القرن الحادي والعشرين نجد أن كريون كان على حق، وأن الخطيئة التي ارتكبها طيفٌ كبيرٌ من المعارضين هي الخلط بين السياسة والفلسفة، ذلك أن الثورة السورية المجيدة وبالمعيار الفلسفي نجحت يوم ولدت أما بالمعيار السياسي فالحال مختلفٌ تماماً، فالعمل السياسي هو استجابةٌ لموقف أما الفكرة الفلسفية فهي استجابةٌ لأمل، وهكذا فإن النجاح إزاء تحدٍ معين هو وحده معيار الحكم على أي عمل سياسي في حين أن القيمة في حد ذاتها هي معيار الحكم على أي فكرة فلسفية.

ما سميته في بداية المقال بالحظ التاريخي لبلدٍ شهد ولادة الحضارة الإنسانية ومجدها وأخلاقيتها، أضحى اليوم "لعنة وطن" وهذا الوطن هو قلب العالم والثورة السورية تدفع أغلى الضرائب عن هذا الموقع، تحضرني مقولة "برجينسكي" مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي الأسبق "جيمي كارتر" عام 1990 عن غزو الكويت "إن أزمة الخليج، باتت عاطفية بأكثر من اللازم وشخصية بأكثر من اللازم وعسكرية بأكثر من اللازم"، والأزمة السورية كذلك فالشعب السوري يسطر يومياً ملاحم "سيزيفية" والفضائيات تعرض يومياً مشاهد لم تخطر ببال "كافكا" الذي تعج أعماله بالكوابيس المفزعة وليالي العاصمة دمشق أصبحت مضيئة كسماء أخواتها السوريات، ونحن هنا لا ننكر إرادة الشعوب ولا نلغي المقولة الشهيرة "قدرنا أننا أردنا" إلا أن ثورتنا المجيدة أضحت حرباً بالوكالة بين أمم الأرض حربٌ وقودها دماء السوريين "هي لعبة الأمم" وفي لعبة الأمم لا يوجد فائزون البتة بل الكل خاسرون، لهذا لا يكون حرص كل لاعب على النجاح بقدر ما هو على تجنب الضياع أو الخسارة، إن الهدف المشترك لجميع اللاعبين في لعبة الأمم هو رغبتهم في المحافظة عليها دون توقف، ذلك أن توقف هذه اللعبة لا يعني سوى شيء واحد ألا وهو "الحرب".

قال المطران سمير نصّار رئيس أساقفة دمشق للموارنة في إحدى عظاته: "المعاناة التي نعيشها كبيرة ونحن نشاهد هذه المأساة بلا حول ولا قوة ما بدأ على شكل مظاهرة صغيرة في الجزء الجنوبي من سوريا في الخامس عشر من آذار العام الماضي تحول الآن إلى أزمة تكتنف كل مدن البلاد الصراع يسير في طريق مسدود فمن جهة هناك قوة مركزية قوية ترفض التنحي ومن الجهة الثانية انتفاضة شعبية لا تظهر أية علامات للتراجع الصراع يشل البلاد.... إنه صراعٌ دولي على الأرض السورية".

السوريين لا يضحون من أجل حرية بلادهم فقط، بل من أجل حرية منطقةٍ بأكملها، من أجل إعادة التوازن إلى القوى الإقليمية، وتخليص المنطقة من الحرب الباردة التي تدور بين الصين وروسيا من جهة والغرب من جهة أخرى، وليس من السهل تصور تفاهم سهل بين ما أصبح يعرف بمحور إيران والعراق وسوريا وحزب الله وبين المحور الغربي العربي إن جاز التعبير، في ملفنا اليوم استعراضٌ لأوراق اللعبة بعيداً عن اللاعبين المباشرين "الشعب والنظام".

إيران:

لا يتخيل الملالي في إيران سقوط النظام في سوريا وخسارتهم لقاعدةٍ متقدمةٍ تطل على المتوسط، فهم اليوم وبعد السيطرة على العراق يعيشون حلم كسرى الفرس، لكن حال الضعف التي وصل إليها النظام في سوريا دعت الإيرانيين لإعادة حساباتهم فالفيصل في السياسة الإيرانية اليوم هو المفاعل النووي، وتبقى سوريا ورقة للتفاوض والقارئ لتاريخ الثورة الإيرانية يجد أن البعد الإيديولوجي في سياسة إيران الثورة يأتي في آخر السطر، والإيرانيون هم الأقدر على البيع وفضيحة "إيران - كونترا" وصفقات شراء الأسلحة من إسرائيل والتي أتت بموافقة الخميني - كيف لا وهو المستعد للتحالف مع الشيطان بحسب تعبيره - أكبر دليلٍ على ذلك.

تركيا:

حسم الأتراك أمرهم مع بدايات الثورة ووقفوا إلى جانب الشعب، لكن القرار

مجدل شمس | الجولان المحتل

التركي بقي إعلامياً متردداً يراوح مكانه، فصناع القرار مختلفون بشأن الموضوع السوري، و"أردوغان" وحزبه يستثمرون الدماء السورية انتخابيا ويبقى الموضوع الكردي، والأغلبية العلوية شمال الساحل السوري، والخوف من تدفق اللاجئين عوامل كبح للموقف التركي.

لبنان:

إن خيار النأي بالنفس الذي اتخذته الحكومة اللبنانية عما يجري في سوريا هو نقيض الواقع فمكونات هذه الحكومة منقسمة بين مطالب بإسقاط النظام، وبين مقاتل في صفوفه، ويشهد اللبنانيون اليوم حواراً وطنيا جاز لنا اعتباره وهميا فالجميع عل الطاولة ينتظرون ما سيحل بدمشق، والنظام في سوريا يستعرض قدراته عل التفجير في شمال لبنان كورقة ضغط على المجتمع الدولي، وهي لعبة بيديها، ويتهامس اللبنانيون فيما بينهم عن مخطط لحزب الله للانقلاب على الشرعية واحتلال لبنان بقوة السلاح إذا ما سقط النظام في سوريا فجأة، هي خطوة لو تمت ستكون كفيلة بإنهاء الحزب عمليا بعد ما انتهى معنوياً إل غير رجعة.

إسرائيل:

كثر الكلام عن تحالف ضمني بين النظام وإسرائيل سمح له على الأقل بتحليق الطيران السوري على الحدود في أحداث درعا، لكن هذا الكلام بقي في إطار التصعيد الإعلامي، والأقرب للتصديق أن إسرائيل تتعامل بتجاهل مع ما يجري في سوريا فبغض النظر عن الرابح، فإن ما يحصل في سوريا من تدمير للاقتصاد والجيش يصب في مصلحتها ويعزز تفوقاً مستقبلياً، كانت تملكه سلفاً.

الأمم المتحدة والجامعة العربية:

أثرت جمع الكيانين معاً فالجامعة هزيلة كونها تعبيرٌ عن إمكانيات أعضائها، ومجلس الأمن معطل بحكم آليات اتخاذ القرار فيه، والمبادرة العربية أو الأممية وأدت حين ولدت.

الاتحاد الأوروبي:

يبقى الموقف الأوروبي هو الأقوى في مواجهة النظام في سوريا حتى أنه أتى متفوقاً عن الموقف العربي أحيانا، لكن الموقف الأوروبي لا يملك إلا الدعم الأخلاقي والقانوني للشعب السوري إضافة إلى العقوبات الاقتصادية التي لا تستطيع إسقاط الأنظمة، فالحكومات الأوروبية والتي تعتبر الأكثر التزاما بحقوق الإنسان تشعر بالخجل اتجاه شعوبها إزاء ما يحصل في سوريا، لكن طبيعة موازين القوى أبعدت الأوروبيين عن التأثير المباشر في الواقع السوري والمنطقة بشكل عام، وقد كانت آخر مرة حاولت فيها أوروبا الغربية أن تقوم بدور حقيقي في منطقة الشرق الأوسط هي محاولة الجنرال "شارل ديغول" خلال حرب حزيران عام 1967 أن يدعو إلى مؤتمر قمة رباعي لبحث الموقف المتوتر في الشرق الأوسط وكانت هذه المحاولة تعبيراً عن الطموح الشخصي للجنرال "ديغول" لكنها لم تعبر عن الموازين الحقيقية في العالم وقتها، ولعل طرد السفراء والوقوف إلى جانب قضية الشعب السوري في المحافل الدولية والقانونية هو أكثر ما تستطيع أوروبا تقديمه.

الدول العربية:

باستثناء العراق تتوزع المواقف العربية بالنسبة للثورة السورية بين الحياد والتأييد العلني للثورة، فبينما تغرق مصر واليمن والبحرين في مشاكلها، وتبتعد دول المغرب العربي في موقف بات تقليديا عل اعتبار أن الطلاق الرجعي بين المغرب والمشرق العربي بات أمراً مسلما به، وتقف الأردن على حياد أقرب للشعب السوري فهي لا تستطيع معاداة النظام في دمشق، يبقى الدور الأقوى لدول الخليج العربي، فبينما تقف الإمارات العربية المتحدة ضمنياً مع النظام، وتسري الشائعات عن مصالح اقتصادية وطيدة بين حكام إمارة دبي وأركان النظام في سوريا، لعل ما يؤكدها العسف الذي تمارسه السلطات الإماراتية اتجاه المعارضين السوريين من اعتقال وترحيل، واتجاه المواطن السوري والذي يبدو أن الحكومة الإماراتية قد طبقت عليه الحرمان من دخول جنتها.

أما مملكة قطر فهي داعمٌ واضحٌ للثورة السورية ولعل لقناتها الفضائية دوراً سيذكره التاريخ في سجل الربيع العربي إلا أن الدور الأهم هو للمملكة العربية السعودية، كيف لا وهي التي كانت إحدى دعائم استقرار نظام الأسد الأب، من خلال التدفق المالي غير المسبوق دعما لليرة السورية تحت عناوين، المساعدات لدول المواجهة، والتي تجددت بعد حرب الخليج الأولى، وهي التي تقف اليوم بجانب الثورة السورية، كونها ودول الخليج عموماً ترى استحالة موافقتها على قيام دولة صفوية معادية من طهران إلى بيروت بحسب تعبير الصحافة السعودية، والمملكة إضافة لنفوذها المعنوي في المنطقة، تملك مفاتيح يسمع ساكن الكرملين رنينها جيداً، وتملك أوراقاً للضغط أهمها الثقل المالي النفطي والقدرة المخابراتية، إذ ينبغي التذكير بأن شمال الصين وجنوب روسيا هي مناطق ذات أغلبية اسلامية، وللمملكة هناك نفوذ معنوي وواقعي أيضاً عن طريق المدارس الشرعية، والجمعيات الخيرية، ومن المؤكد أن ساكن الكرملين يتذكر الدور السعودي في إسقاط الاتحاد السوفيتي جيداً، هذا وقد رفض أعضاء غرفة التجارة في المملكة في 12 من الشهر الجاري استقبال الوفد التجاري الروسي لموقفه المساند للنظام في سوريا. كما تساند الكويت الثورة السورية بشدة إلا أن للموقف الكويتي نكهة خاصة فمع يقيننا بوقوف شعوب الأرض إلى جانب الشعب السوري، إلا أن الموقف الكويتي وبحكم ديمقراطية جزئية تعيشها الكويت أتى من داخل البرلمان وليس من رأس الهرم في السلطة وهي حالة نادرة في عالمنا العربي. كما تجدر الإشادة بموقف حركة "حماس" المساند للثورة وهو موقف عرى النظام الممانع بشدة.

الولايات المتحدة الأمريكية:

لم تعد منطقة الشرق الأوسط بكاملها في مقدمة أولويات السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية الحالية، فهي تحل بعد شرق آسيا وبعد أوروبا الشرقية في سلم الأولويات و بحسب محللين وخبراء في الملف السياسي للشرق الأوسط فإن الأزمة في سوريا تشير إلى أن اللعبة السياسية هناك يتحكم فيها قدرة النظام السوري على الحفاظ على أمن الحدود مع "إسرائيل" وهذا هو الشغل الشاغل لأمريكا، وليس الخوف على المزيد من الضحايا في سوريا. وكل ذلك يترك انطباعاً بأن "أوباما" وكلينتون لا يعارضان بقاء "الأسد" إذ كان من الممكن بقاؤه لمجرد فترة قصيرة أخرى يجري خلالها ترتيب انتقال سلس للسلطة. ولعل المد والجزر في تصريحات كلينتون منذ بدايات الثورة في سوريا أكبر دليل على هذا الموقف إلا أنه ومؤخراً تم التصعيد بوتيرة عالية، وقال "اندرو تابلر" من معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى ومؤلف كتاب عن سوريا سيطرح قريباً في الأسواق أن مطالبة زعيم بأن يرحل "تقال عندما يكون النظام على وشك الانهيار". ويبدو أن إدارة أوباما تنتهج سياسة الرئيس كينيدي التي تؤمن بنظرية "أن الحكمة الذهبية في علاج الأزمات هي أن يترك كل طرف لخصمه سبيلا إلى التراجع بكرامة وكبرياء"، لذلك يفسر المد والجزر في التصريحات بأنه سلوك تفاوضي.

روسيا:

لم أفرد فقرةً خاصة للموقف الصيني كونه بدا منسجما تماما مع الموقف الروسي، والروس أكثر أمم الأرض مقدرة على البيع ففي آب عام 1939 قام الاتحاد السوفيتي بأكبر انقلاب في السياسة الدولية، حين عقد فجأة مع هتلر معاهدة صداقة وعدم اعتداء، كانت النازية منذ ظهورها العدو الأول والأكبر للاتحاد السوفيتي، وكانت حربه ضدها عنيفة وشرسة، وقد حشد وراءه كل الأحزاب الشيوعية في هذه الحرب، وفجأة وبدون إعلان وصل "يواكيم وينتروب" وزير خارجية ألمانيا النازية إلى موسكو، واتصلت المفاوضات أياما قليلة، ثم انفجر إعلان الاتفاق كأنه قنبلة ذرية، وظل العالم كله أياما شبه مغمىً عليه

ولعل القضية الأكثر أهمية على الأجندة العالمية لبوتين ليس سوريا ولا أي انتفاضة من انتفاضات الربيع العربي و إنما هي لقاؤه مع باراك أوباما الشهر القادم. بوتين يريد ضمانات لخطط الولايات المتحدة الدفاعية الصاروخية في أوروبا و آسيا، و التي ترى فيها روسيا تهديداً لأمنها. بوتين يبغي تقبلاً للوضع الراهن في القوقاز بعد انشقاق المقاطعات الجورجية بدعم روسي في 2008. ويريد عضوية روسية مثمرة في منظمة التجارة العالمية. كما يريد نهاية لانتقادات أمريكا لديمقراطية روسيا و تقصيرها في قضايا حقوق الإنسان و القائمة تطول.. كما تبغي روسيا حلاً سلمياً للأزمة الناشئة حول برنامج إيران النووي. وعندما يقابل بوتين أوباما، فأنه سيطلب ضمانات من الولايات المتحدة بإيقاف و بعدم المشاركة في أي عمل عسكري إسرائيلي ضد منشآت إيران النووية. بالنسبة لموسكو، فإن حرباً في "خاصرتها" في جنوب وسط آسيا ستهز استقرارها سياسيا واقتصادياً أكثر بكثير من أي اضطراب في سوريا. أوباما أيضاً يريد من بوتين، تعاوناً لحل ناجح للمعضلة الإيرانية و مساعدة في التعامل مع "وجع الرأس" القادم من كوريا الشمالية. و هكذا فهناك الكثير من الحوافز غير المباشرة للجانبين للتفاوض حول سوريا..

إنها لعبة الأمم إذاً ويبدو أن الورقة السورية سلمت بالكامل للروس، وهذا بدا واضحاً من اهتمام الشارع السوري بتصريحات لافروف أكثر بكثير من تصريحات رأس النظام في سوريا، وفي المرحلة الأخيرة من اللعبة يتصارع مفهومان للدولة الأول تتبناه روسيا ويقوم على مبدأ السيادة أيا كان نوعها والثاني يتبناه الغرب ويقوم عل الشرعية واحترام حقوق الإنسان، عنوان براق يخفي وراءه المصالح الاقتصادية والزمن الأمريكي الذي نعيشه، فالعالم بات محكوما لشركات عملاقة توزع المهام والأدوار، وهذا لا يعني بالتأكيد براءة الطرف الأول من هذا المفهوم فروسيا سلمت بالأمر الواقع وهي تفاوض للمشاركة في الغنيمة، ولعل الحل في سوريا سيضع دمشق على نفس السطر في كتاب التاريخ مع "بوتسدام" عام 1914 أو "فيينا" عام 1814 وهما آخر مناسبتين بدا في كل منهما أن هناك ترتيبا جديداً لعلاقات القوى وأوضاعها الدولية قابلاً للاستمرار، وكما ذكرنا سابقاً فلعبة الأمم حين تقف تكون الحرب، التي تقرع طبولها يومياً في سوريا، وهو مؤشرٌ واضحٌ على النهاية، فالتجربة السورية المذهلة في تجنب حرب أهلية توافرت كل شروطها، دعمها توافقٌ دولي على عدم السماح بحرب ليس لأحد التنبؤ بنهايتها.

نعيش اليوم العلائم الكبرى لرحيل النظام فالعلائم الصغرى لاحت في آذار الماضي، والجميع اليوم يلهث لإيجاد الحل هو حل دولي لا محالة لكن من نقل الثورة السورية إلى أولى أولويات المجتمع الدولي، هي تضحيات السوريين وإصرارهم على الحرية، إن تسليمنا بلعبة الأمم لا يلغي إيماننا بإرادة الشعوب، في الماضي أضحك ستالين العالم حين تساءل كم جندياً يملك البابا، متجاهلاً أن الطاقة الروحية والعقل الجمعي لأي أمة هو محرك التاريخ وصانعه.

أختم بما قاله الخميني: الشهيد... وليس البطل... هو روح التاريخ....

عنق الزجاجة

■ خالد كنفاني

من يراقب تطور الأحداث وتسارعها في سوريا اليوم يعلم أن المسألة وصلت إلى عنق الزجاجة، فلا هي خرجت منها ولا عادت إلى الزجاجة. ورغم يقيننا بأن العودة إلى داخل الزجاجة باتت شبه مستحيلة فإن الخروج منها يبدو مخاضاً عسيراً تحكمه ظروف دولية ومحلية معقدة جداً قد تجعل من سقوط النظام انهياراً شاملاً في كافة أركان المجتمع ومكوناته.

لا يزال كل العالم تقريباً يعقد الاجتماع تلو الآخر "من أجل سوريا" وباسم "أصدقائها" و"إعادة إعمارها" بينما تتصاعد حدة الاحتقان الطائفي والأهلي بشكل غير مسبوق داخل كل المدن والقرى السورية بلا استثناء. ويبدو أن العالم قد قرر أن يلعب اللعبة في سوريا على الطريقة العراقية أو ما يشابهها من حيث إطالة أمد الأزمة مع التدمير الذاتي للدولة وتفكيكها من الداخل وذلك عبر نشر الأسلحة الخفيفة والمتوسطة بين الثائرين مع الدعم اللوجستي لهم بينما تقوم روسيا وإيران على الأقل بدعم النظام وتغطيته إعلامياً وسياسياً على الطرف الآخر بحيث تبقى هناك دائماً جزرة ما أمام الطرفين تؤدي إلى بقاء الجميع في عنق الزجاجة والذي لا يتسع لكثيرين. وهذا ما يبرر المجازر الرهيبة التي تحدث بحق بعض القرى والبلدات بينما يقوم المعارضون بعمليات قنص واغتيال نوعية لا تكون في الغالب سوى ارتجالية وغير مدروسة وتؤدي إلى نتائج عكسية في كثير من الأحيان.

تعيش سوريا اليوم على فوهة بركان بالفعل، فالساحة السورية أصبحت مفتوحة للجميع ومفتوحة على كل الاحتمالات. ويتدفق اليوم كثيرون من "المتطلعين للجهاد" إلى سوريا بعد التسهيلات الكبيرة التي تمنح لهم وخاصة عبر تركيا وهو أمر لم يعد خافياً على أحد كما أن معظم الدول الغربية وغيرها قد اعترفت بهذا الأمر. ويصل كثيرون اليوم إلى قناعة مفادها أن سوريا قد دخلت فعلاً مرحلة الحرب الأهلية وهو إقرار خطير ولا بد من دراسته وتحليله بشكل صحيح لأن ذلك يعني دخول البلاد نفق حرب ظالمة وقذرة بين كافة مكونات المجتمع السوري المهدد بالتفكك والتشرذم. يحدث هذا بينما لا تزال المعارضة السياسية تعيش ترف المؤتمرات والانتخابات الرئاسية الهزيلة وتبادل المناصب الخلبية وكأنهم ورثوا سوريا عبر ممارسات إعلامية بائسة لا تزال في ابتعاد دائم عن حركة الناس والشارع وعن همومهم وآلامهم.

وبينما تأتي التحذيرات الغربية والأمريكية من الحرب الأهلية في سوريا نجد المعارضين وعلى الطرف الآخر لا يزالون مصرين على دفن رؤوسهم في الرمال مدعين أن الطائفية غير موجودة أصلاً في المجتمع السوري وأن كل ما يجري سيتم تجاوزه في المستقبل القريب بلمسة سحرية من أعضاء المجلس الوطني أصحاب الابتسامات الصفراء والملابس الأنيقة. إن الاعتقاد بأن خدمة الثورة تأتي بالتعامي على الحقائق المجتمعية والسياسية والثقافية هو اعتقاد لا محل له من الإعراب ويعكس فجوة هائلة بين السياسيين الذين ركبوا موجة الثورة وبين الناس على الأرض. لا يمكن بأي حال التخطيط لمستقبل في هذا الوطن دون تحليل الواقع بشكل علمي صحيح وممنهج. أما القفز على الحقائق وتبرير الأحداث بما يلوي عنقها فهو لا يختلف عن ممارسة النظام الإعلامية والسياسية. فالنظام دائم الادعاء بأن ما يجري في سوريا هو مؤامرة وبأن المسألة أزمة عابرة أو سحابة صيف وأن كل الثورة هي عبارة عن فبركات إعلامية من قنوات مغرضة، وهم لا يملون من إذاعة صور لمدن وقرى في سوريا يرى فيها المشاهد الحياة طبيعية والناس تشتري حاجياتها (علماً أن معدلات الغلاء فاقت كل الحدود)، بينما تكون القنوات المغرضة تبث صوراً لمظاهرات حاشدة في ذات المدن والقرى.

بالنسبة للمواطن العادي وشبه المحايد في سوريا اليوم فإن كل ما يحدث هو عملية تغيير ولكنها تبدو اليوم أكثر دموية من أي وقت مضى. ولهذا فإن من يمشي في شوارع سوريا لا يعرف بالضبط من هو غريمه. فبينما المواطن أمام أجهزة الأمن متهم حتى تثبت براءته، فهو كذلك بالنسبة للمعارضين. فالمسألة اليوم أصبحت قائمة على الشك وانعدام الثقة بين كل أفراد الشعب وهو ما يؤسس لحالة من الفوضى العارمة وإطلاق الأحكام عشوائياً حول حق الحياة أو عقوبة الموت. ولهذا فكما يشرّع النظام لنفسه استباحة دم وحرية أي مواطن بدعوى "إضعاف الشعور القومي" و"بث الفتنة الطائفية" و"التخابر مع جهات أجنبية"، فإن كثيرين من المعارضين على الطرف الآخر يمارسون نفس طريقة الإقصاء والتشبيح الإعلامي ضد الآخرين. وتأتي دعوة أحد الناشطين منذ أيام لقتل من أسماهم "العواينية" ضمن هذا السياق التحريضي الذي يؤسس لشرعية القتل لمجرد الشبهة، ولن يخفف من تلك الدعوة القول بأنه يجب "تنبيهه مرة وتحذيره ثانية"، فهذه لا تحدث سوى في اليوتوبيا، أما في سوريا فإننا نمارس بهذا الشكل محاكمات ميدانية بحق الناس تماماً كما يفعل النظام الذي غالباً ما يسلب حياة الناس لمجرد الشك.

لم يعد مبرراً القول بأن الممارسة السياسية التي كانت شبه معدومة في سوريا طوال العقود الماضية هي السبب في هذا التخبط الذي يعيشه جميع المعارضين، وذلك لأن عدداً كبيراً ممن يدعون اليوم القيادة السياسية للثورة ويصدرون البيانات تلو الأخرى عاشوا أساساً في بلدان متطورة ومتقدمة وكانوا قد صدعوا رؤوسنا عبر العقود الماضية كلها بكتب ومقالات في نظريات السياسة والفكر الديمقراطي وإدارة الدولة، إلا أنهم وجدوا أنفسهم فجأة مطالبين بالفعل وليس التنظير والكتابة فقط، فبان عجزهم وانكشفت "عوراتهم" السياسية والفكرية والتنظيمية، وهكذا نجد كل يومين تنظيماً جديداً وهيئات مبتكرة بتسميات براقة وتحظى باستقبالات فخمة في دول المحور الجديدة ثم ينفض المولد ولا نسمع خبراً بعدها عن أحد. إن أولى الممارسات الديمقراطية تتجلى في شجاعة الاعتراف بالعجز والانسحاب من المشهد عند الفشل لأن في ذلك مسؤولية تاريخية أمام هذا الشعب الذي يدعون تمثيله. أما الإصرار على مواصلة الأداء الهزيل نفسه فليس له سوى تبرير واحد هو حب الظهور والشهرة بعد سنوات من التغييب وفقر الحال. لم يخرج علينا معارض واحد باعتذار عن تصريح أو تراجع عن بيان طوال فترة هذه الأزمة، حتى أن هناك كثيرين من المعارضين وبالأخص في الخارج باتوا منبراً للأخبار الملفقة والمكذوبة وكأن المسألة سبق صحفي ولم يعلموا بأن الضرر على الثورة كان كبيراً جداً بسبب هذه الأفعال الطائشة والمراهقة السياسية.

إن جوهر تأخر الحل في الأزمة السورية هو بالفعل انعدام البديل في الوقت الحالي، وهذا ليس إعلاء من شأن النظام أبداً، فنحن لسنا هنا في معرض الترويج للنظام أو الدفاع عنه، ولكن الحقيقة تقول أن هزالة المعارضة وتفككها وضعف شخصياتها ولدا شعوراً عاماً بالتوجس من القادم في سوريا، فلا يوجد أي من المعارضين في الخارج وبالأخص في المجلس الوطني أو هيئة التنسيق من يستطيع الادعاء بأنه سيكون قادراً على الإمساك بزمام الأمور في سوريا حال انهيار النظام. فالقسم الأكبر من

هؤلاء المعارضين إما عاش فترات طويلة جداً خارج سوريا وهو بالتالي بعيد كل البعد عن شوارعها وطبائع مجتمعها التي تغيرت مع السنين (وهو ما يبدو واضحاً من الصور الرومانسية والحالمة التي يتكلمون بها عن سوريا) وإما من كان في سوريا ثم خرج بداعي الأمان على النفس أو هرباً من محاكمة وهذا الصنف لا يتقن اليوم سوى الكلام وكثير منهم أعجبتهم حياة المنافي حيث المقابلات التلفزيونية والمؤتمرات الراقية وسيجدون صعوبة كبيرة في العودة إلى وطن ممزق مفكك تفوح رائح الدم في كل زاوية من زواياه (وأرجح أن معظمهم سيطلب تعيينه سفيراً في بلد أوروبي وهو تهرّب ذكي من المسؤولية).

ولا ننسى هنا الرغبة العميقة لدى القوى الكبرى ودول الخليج بتفكيك سوريا وإضعافها وهذا ليس أيضاً دعماً لمقولة النظام بمسألة المؤامرة، لأن علينا أن نميز بين المؤامرة على سوريا وبين المؤامرة على النظام. فالنظام الذي يرفع شعارات المقاومة والممانعة يقول أن سبب هذه المؤامرة هو مقاومته وممانعته، ولكننا على النقيض نرى أن المؤامرة الفعلية تكمن في إضعاف سوريا (علماً أنها لم تكن قوية) وبالتالي تحويلها إلى ساحة تجاذبات عالمية تحوّل كل الاهتمام السوري إلى الداخل وإلى فض النزاعات، هذا إذا لم نأخذ بعين الاعتبار الحرب الأهلية التي بدأت بالفعل في معظم أرجاء سورية وهي كفيلة بإلهاء السوريين لسنين طويلة قادمة (قارن الحرب الأهلية اللبنانية والوضع الحالي للعراق منذ 2003 وحتى اليوم).

لا ينطوي هذا الكلام على تخويف أو إحباط من جهة التغيير في سوريا، فأوان خط الرجعة قد فات ولم يعد ينفع أي تغيير في مسار الثورة، ولكننا نخشى اليوم من تحول هذه الثورة إلى هياج جماعي يأكل الأخضر واليابس وعندها لن نخرج من نفق الحروب إلا بمعجزة وبعد زمن طويل. إن كل من لا يزالون مؤمنين بإمكانية الحل اليمني في سوريا واهمون، فالخيوط تم قطعها تماماً مع النظام بكل أركانه بينما اعتمد الحل اليمني على التواصل مع الطرفين لإنهاء الأزمة، ولذلك فإننا نرى أن الجامعة العربية على الأقل كان بإمكانها إبقاء التواصل بالحد الأدنى مع النظام إذا كانت تريد فعلاً إنجاح الحل اليمني في سوريا. أما طريقة القطيعة التامة فإنها دفعت بالأمر إلى حل لا يمني ولا ليبي ولا حتى يوغوسلافي. ولهذا فإن مبادرة كوفي عنان لن تنجح حتماً لأنه لا يوجد من يريد إنجاحها، لا النظام بدمويته وعنفه الصارخ ولا القوى الكبرى والصغرى في المنطقة، وإلا فكيف يستقيم دعم السعودية مثلاً لخطة عنان بينما يدعو وزير خارجيتها إلى تسليح السوريين بكل الأشكال والوسائل، وهو يعلم أن التسليح ستكون آثاره كارثية وهو لن يؤدي إلى حل سياسي من أي نوع، فالسياسة لا تتماشى مع البندقية والفكر لا يبدع تحت أصوات الرصاص.

إن عنق الزجاجة اليوم لا يخنق سوى السوريين الرابضين في وطنهم، وبينما تزداد حدة الأحوال المعيشية وغلاء الأسعار وشح الموارد يزداد في المقابل الضغط العالمي على سوريا (سواء من هم مع النظام أم ضده) كما تزداد وتيرة العنف الدموي والذي يتحول يوماً بعد يوم إلى عنف طائفي إجرامي وإقصائي لن تكون نتائجه سوى كارثية وسوداوية بكافة المقاييس. كلنا يعلم أن ثمن التغيير غال جداً، ولكنها دعوة للجميع للمشاركة في دفع الثمن، أما أن يموت الناس في الخنادق بينما ممثلوهم ينعمون في الفنادق فهي إعادة إنتاج لنظام الاستغلال والتربح تحت اسم القضية. نهب النظام أموالنا وأعمارنا تحت راية المقاومة والقضية الفلسطينية وهاهو المجلس الوطني يمارس ذلك تحت راية القضية السورية ومعاناة الشعب السوري. سوريا القادمة ليس فيها مكان للانتهازيين وسوريا القادمة ليس في مكان للمنظرين. دعوا ثورتنا تنتج قادتها من رحمها، أما أنتم فطارئون على كل شيء ولم نسمع بكم فيما مضى وسنعيش دونكم فيما سيأتي.

آخر الكلام: يقول أحمد شوقي:

المُلْكُ أَنْ تَعْمَلوا اسْتَطَعْتُمو عَمَلاً
وَأَنْ يَبِينَ عَلى الأَعمالِ إِتقانُ
المُلْكُ أَنْ تَخْرَجَ الأَمْوالُ نَاشِطَةً
لِمَطْلَبٍ فيهِ إِصْلاحٌ وَعُمرانُ
الملكُ أَنْ تَتَلاقَوا في هَوَى وَطَنٍ
تَفَرَّقَتْ فيهِ أَجْنَاسٌ وَأَدْيانُ

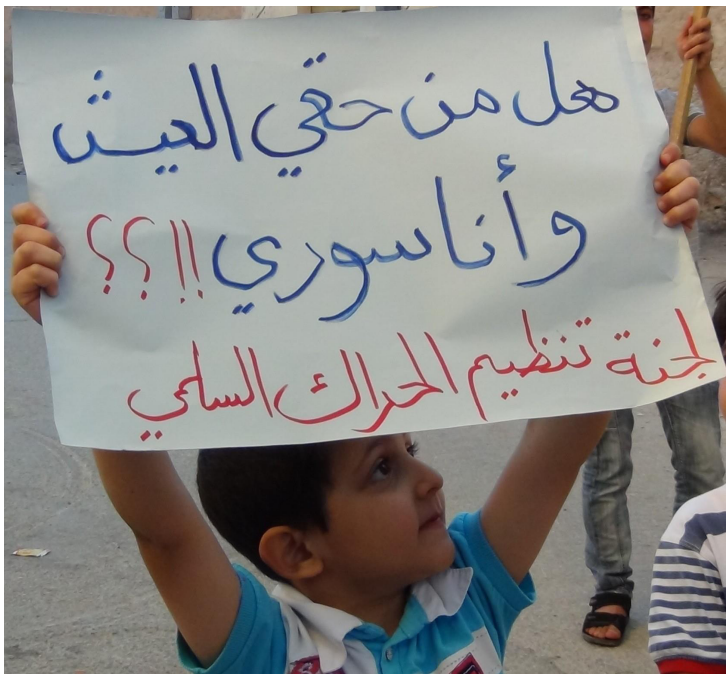

القداس الأخير.. وداعاً أبونا باولو

■ سعاد يوسف

جلس الأب باولو في مكانه المعتاد.. كملاك كان، مرتدياً ثوبه الأبيض والذي رسمت عليه حبات زيتون كتب تحتها بحروف كبيرة "مصالحة".. كملاك كان بوجهه السمح ونظرته التي تبعث في أرجاء تلك الكنيسة القديمة سلاماً وطمأنينة.. اختار كل زائر مكاناً له، كما هي العادة في قداس "دير مار موسى" المسائي، لكن اليوم ليس مثل كل يوم.. اليوم هو القداس الأخير للأب باولو.. هذا الرجل الستيني الذي قدم من إيطاليا إلى سوريا عندما كان في العشرينات من عمره، لتسحره جبال القلمون الجرداء، وعندما بلغ الثلاثين من عمره زار "دير مار موسى" ففتن به وقرر البقاء والعيش فيه. عمل على ترميمه وأعاد الحياة الرهبانية إليه ليصبح من أكثر المعالم الأثرية والدينية في سوريا جذباً للسياح والباحثين عن الصفاء الروحي.

الأب باولو، الذي نذر سنين حياته في سوريا للعمل على إرساء أسس للحوار بين المسيحيين والمسلمين ونزع فتيل أي خلاف طائفي، الأب باولو الذي يعد من أهم دعاة الحوار والسلم الأهلي واللاعنف، سيغادرنا إلى أجل غير مسمى. فقط لأنه تألم لما يحدث في بلده سوريا وأراد أن يمارس دروه كإنسان أولاً، وكرجل دين ثانياً.

لم يكن القداس الأخير حزيناً. لم يذرف الحضور دموعاً. كان الأب باولو يوزع الابتسامات على الجميع. تحدث إلى كل واحد فينا، زرع في كل شخص منا بقية من رجاء وأعطانا جرعة ثبات ودفقاً من أمل كان يخبئه بين تجاعيد وجهه.. رفع الدعاء على نية سوريا حرة ديمقراطية. على نية المعتقلين، والجرحى، والمخطوفين. علت أصواتنا بالترتيل والتسبيح والصلوات، وقرأنا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، الفاتحة على أرواح شهداء هذا الوطن.

انتهى القداس وخرجنا لتناول العشاء.. كان الأب باولو يمشي حافي القدمين "لأنه أراد أن يحس بالأرض، وأن ينتمي إليها أكثر".. لم يمل من استقبال الاتصالات الهاتفية حتى وقت متأخر من الليل. عشرات الأشخاص أرادوا توديعه، والوقوف إلى جانبه، فإذ به يقف إلى جانب الجميع، يواسي كل من أحس بالحزن ويسمح كل دمعة يراها في أعيننا..

في صباح اليوم التالي ودعناه.. دون دموع.. دون كلام.. رافقته نظراتنا وهو ينزل ذلك الدرج الطويل.. عند كل درجة كان يلتفت إلى الخلف أو ينظر إلينا في الأعلى.. عند كل درجة حكاية، ذكرى، ابتسامة لن تغادر ذاكرته.. في منتصف المسافة توقف، نظر إلينا وصرخ بملء صوته: "تكبير.. اللّه أكبر".. ورددت تلك الجبال صيحاتنا جميعا "اللّه أكبر.. اللّه أكبر"..

أبونا باولو.. لن ننساك.. نحن بانتظارك في سوريا الجديدة، سوريا الحرة التي زرعتَ بذور محبتها وسلامها بيديك، وسنحصد سنابل حريتها وديمقراطيتها التي طالما حلمتَ بها، معاً..

قانون المعونة القضائية

■ ياسر مرزوق

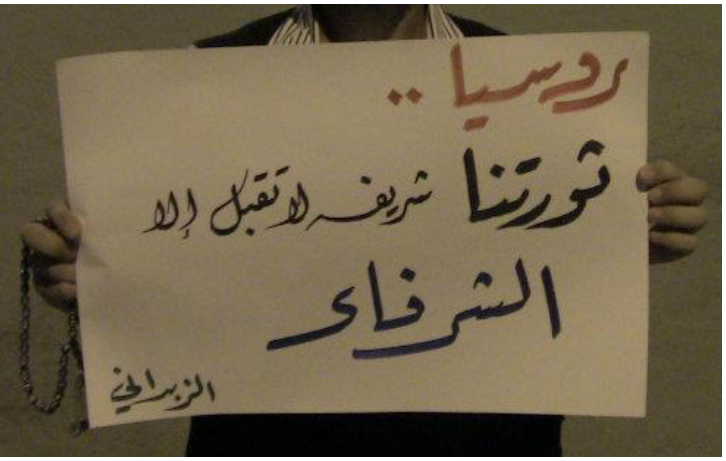

مما لا شك فيه أنّ تكفّل الدولة المساعدة القضائية لغير القادرين وفقاً للقانون هو حقٌ دستوري لكل مواطن تتوافر فيه الشروط المقررة قانوناً للحصول على المعونة القضائية، وينطوي مفهوم المعونة القضائية على مساعدة الفقراء الذين لا يستطيعون دفع ما يترتب عليهم من مصاريف التقاضي.. وفي هذا السياق تتحمل الدولة عبء تقديم الدعاوى والدفاع أمام المحاكم "القضاء" إذا كان الشخص فقيراً لا يملك المال الذي يمكنه من ذلك عن طريق لجنة خاصة تؤلف في وزارة العدل لهذه الغاية بحيث لا يحرم أحد من الحق في التقاضي فإذا ما ثبت الحق للمدعي قضائياً فعندئذ يتحمل المحكوم عليه كل النفقات والمصاريف.

وتجدر الإشارة إلى أن الواقع العملي يشير إلى استنكاف شريحة واسعة من المواطنين عن اللجوء للتقاضي لعدم ثقتهم بجدوى أو نزاهة القضاء من جهة ولعدم قدرتهم على تحمل الأعباء المالية للعملية، وخاصة بعد صدور قانون الرسوم والتأمينات والنفقات القضائية رقم /27/لعام 2010الذي ضاعف الرسوم أكثر من عشرين ضعفاً بصورة وسطية وصدور القانون رقم /12/لعام 2010والقاضي بتعديل جدول بيان فئات الرسم الإضافي. حتى أن بعض المواطنين تنازلوا وتغاضوا عن حقوقهم بدلاً من اللجوء إلى القضاء وهو الملاذ الأخير للمواطنين للوصول إلى حقوقهم.

ويبقى قانون المعونة القضائية على علاته مساعداً لشريحة من المواطنين فيما لو تم تطبيقه، إلا أن الواقع العملي يشير إلى خلاف ذلك ومسؤولية تعطيل العمل بهذا القانون هي مسؤولية مشتركة بين وزارة العدل من جهة ونقابة المحامين من جهة أخرى وفي مايلي عرضٌ لبعض أهم مواد هذا القانون.

المادة 1: المعونة القضائية: هي إعفاء المتداعين من تعجيل نفقات الدعوى و تسخير محامي يعينهم في خصومتهم مجاناً

المادة 2: المعاملات القلمية التي تجب على المعان تكون مجاناً، كما أنه يعفى من تسليف غرامات الدعوى، و نفقات التحقيق الضرورية تسلفها الحكومة.

المادة 3: إذا ربح المعان الدعوى، فعلى خصمه الذي حكم عليه بالنفقات، أن يؤديها كما لو كانت المعونة القضائية لم تمنح، و عليه أن يرد إلى الحكومة النفقات التي أسلفتها من أجل التحقيق.

المادة 4: إذا كانت المحكمة التي منحت المعونة القضائية لديها في مركز نقابة المحامين وجب على رئيسها أن يطلب من النقيب انتداب أحد المحامين المسجلين في نقابته للدفاع عمن نال تلك المعونة و أما إذا كانت المحكمة بعيدة عن مركز النقابة فيجب على رئيس المحكمة أن يختار هو نفسه محامياً للدفاع عن المعان و يبلغ النقيب باختياره هذا و تكون معونة المحامي مجاناً فليس له أن يتناول أجراً إلاّ من الخصم الذي خسر الدعوى، إذا لم يكن هذا الخصم تمتع أيضاً بالمعونة القضائية، أو من الموكل المعان إذا، إذا انتقلت إليه نتيجة الدعوى، أو بسبب آخر أمال تمكنه من دفع الأجرة، على أن يكون له حق الرجوع بها على خصمه الخاسر، إذا كان مليئاً، تحدد المحكمة أجرة المحامي في حكمها على قدر ما تستحقه من أتعاب " ولابد من الإشارة إلى أن ضآلة المبلغ الذي يحكم به القضاء وهو مبلغ 200 ليرة سورية كأتعاب ومصاريف محاماة يعد من أهم العوامل التي تمنع المحامين من الدفاع عن المعان "

كما نصت المادة الخامسة على أنه إذا أخذ المحامي المعين أجرة عن عمله أو حاول أخذها، عد ذلك عليه خطأ مسلكياً يستنزل العقوبة، و على ممثل الحق العام و نقابة المحامين أن يقوما بذلك. إذا رفض المعان، معونة المحامي من غير سبب شرعي، و لجأ إلى محامي غيره – ولو كان من غير أجرة – فإن ذلك يؤدي إلى استرداد المعونة استرداداً رجعياً

يحقق في فقر الحال وفق نص المادة /7/ على الوجه الآتي:

أ- ببيان مفصل يقدمه صاحب العلاقة لوسائل معيشته مهما كان نوعها.

ب- بشهادة تعطيها إدارة المالية تبين فيها الضرائب المحققة على المستعين في السنتين الماضيتين.

ج - بشهادة فقر حال تعطيها السلطات المختصة.

إذا ثبت أن المعلومات التي قدمها المستعين – عن حقيقة ثروته – غير صحيحة، و أن من شأنها أن تضلل لجنة المعونة القضائية حكم عليه بغرامة نقدية من عشر ليرات إلى مائتي ليرة سورية تلغى المعونة القضائية إذا كانت منحت إلغاءً رجعياً، كما أنه يرفض طلب المعونة القضائية مهما كانت حالة المستعين المالية، إذا كانت دعواه ظاهراً بطلانها. أو كان ما يدعيه حقاً في ظاهره، إلاّ أنه لا سبيل إلى تحقيقه، وقد أتاح القانون للأجانب أن يستفيدوا من هذه المعونة على شرط مبدأ " المقابلة بالمثل " مقابلة قانونية.

كما لابد من الإشارة إلى أن المعونة القضائية تمنح لدى جميع المحاكم في الجمهورية العربية السورية من شرعية مذهبية و دينية و نظامية: مدنية أو تجارية أو جزائية. وفي جميع مراحل الدعوى إذ يجوز طلب المعونة القضائية في الاستئناف أو في النقض و لو للمرة الأولى على أن يقدم الطلب إلى اللجنة المنصوص عنها في المادة 12 المعدلة.

وعن آلية منح المعونة نصت المادة /12/ من قانون المعونة القضائية على ما يلي:

تحدث لدى كل محكمة ابتدائية لجنة عرف بـ "لجنة المعونة القضائية " ولهذه اللجنة أن تنظر ضمن اختصاصها المكاني في كل طلب يقدم إلى المحاكم النظامية والشرعية والمذهبية على اختلاف أنواعها ودرجاتها و تبقى المعونة القضائية الممنوحة من قبل اللجنة مرعية بالاستئناف والنقض وعند التنفيذ دون الحاجة إلى المطالبة بتجديدها.

وتأليفها بحسب ما جاء في المادة /13/ من القانون المذكور على الشكل التالي:

1 - قاض يعينه وزير العدل رئيساً

2 - ممثل للمالية يعينه وزير المالية عضواً

3 - محام يعينه مجلس النقابة عضواً

ويعين وزير المالية ومجلس النقابة علاوة على العضو الأصلي عضواً ملازماً ليقوم مقام العضو الأصلي عند تعذر حضوره، وتستعين هذه اللجنة بأحد كتاب المحاكم للقيام بالأعمال الكتابية.

ويتوجب على طالب المعونة أن يقدم طلبه بعريضة تكتب ثلاث نسخ معفاة من رسوم الطوابع إلى ممثل الحق العام لدى محكمة المستدعي، إما مباشرة إذا كان يقيم في مركز المحكمة، و إما بواسطة أكبر مأمور إداري في المنطقة التي يقيم فيها وتذكر في العريضة بصورة واضحة مدعيات المستعين و تعدد وسائله لإثباتها و ترفق بالوثائق المشار إليها في المادة السابعة، فيجمع ممثل الحق العام ما يحتاج إليه من معلومات عن ثروة المستعين ثم يحيل الإضبارة مشفوعة برأيه إلى لجنة المعونة القضائية، فإذا ظهر للجنة التي منحت المعونة أن القرار الذي أصدرته قد بني على سبب غير صحيح أو أن المعان أصبح في حالة يستغني معها عن المعونة فلها أن تلغي هذه المعونة في كل دور من أدوار المحاكمة إلغاءً رجعياً. و المعونة القضائية تسقط بوفاة المعان سقوطاً غير رجعي و للورثة إذا كانوا في حالة تستحق المعونة أن يلتمسوها من جديد.

لا طائفة لي إلا سوريتي

■ آية الأتاسي

طائفة... طائفية.. حرب طائفية... كلمات كالسم الأسود أراها مدسوسة في كل مكان.. مهما حاولت أن أتجاوزها، أراها في المقالات والتعليقات والنقاشات.. لدرجة أنني وجدت نفسي في النهاية، أرضخ لها وأعنون بها نصي هذا..

أحاول أن أعود لجذور هذه الكلمة وأحفر في ذاكرتي عميقاً، أنا التي أدعي أن لا طائفة لي إلا سوريتي..

كطفلة تربيت في جو منفتح على كل الأديان والاتجاهات... كان لي أصدقاء من كل الأطياف والألوان.. صديقة طفولتي كانت وبالصدفة ابنة للطائفة المسيحية.. تشاركنا كل شيء ولم يفرقنا إلا درس الديانة، وفي يوم قررت مصاحبتها لحضور الدرس معها فتم القبض علي بتهمة التجسس على الأديان الأخرى بلا إذن أو تصريح..

كأطفال صغار.. كان ما يجمعنا لبعضنا، كيمياء اللعب وهمس الأسرار وتناغم الشقاوة وانسجامها... لم نكن تعنينا اختلافات الأديان وتفاصيلها.. كان لنا نفس أبجدية الكلام واللعب والطعام واللباس... أتذكر أنني أول مرة توهمت خاطئة، بأن هناك أخر يشبهني ولكنه قد يقتلني... عندما بدأت أحداث الثمانينيات الدموية وبدأنا نسمع عن علوي وسني... وبدأت لهجة الساحل ترتبط بذهني الصغير بالآخر وبالسلطة وبالاستبداد... صرت أرتعش خوفاً عندما أسمع شخص يتحدث بهذه اللهجة والتي صارت ملازمه في رأسي لنظام القمع ورجاله.. تطلب الأمر مني سنوات لأفهم أن هذا جزء من لعبة النظام بأن يصادر طائفة كاملة ويربطها به ويجعلها رهينة له ولسياساته... اكتشفت مع تقدم العمر وازدياد الوعي، أن كثيرين من أبناء الطائفة العلوية عارضوا النظام وعوقبوا معاقبة مضاعفة، لأنهم بنظر الديكتاتور ارتكبوا الخيانة المزدوجة له وللطائفة التي يدعي تمثيلها، وفهمت أن الاستبداد لا طائفة ولا دين له...

وبدأت الصورة تتضح لي أكثر، عندما عشت في أوروبا.. وبدأت أعي أكثر معنى أن يحمل فرد وزر جماعة بأكملها ويوسم بأخطائها ولمجرد انتمائه بالصدفة لها.. فهمت معنى أن تكون ضحية للتعميم والأحكام المسبقة... في أوروبا وجدت نفسي كعربية ومسلمة وحيدة أمام كل ما يحمله الغرب من أحكام خاطئة عن الشرق.. كنت أحس أنني دائما متهمة وعلي الدفاع عن نفسي... مجرد أنني أمتلك اسم عربي، كان كافي ليفصلني عن الآخرين ويضعني في قفص الاتهام... لم تكن تجربة سهلة ولكني تعلمت منها أن أبتعد عن التعميم الظالم وأن أحترم الإنسان لشخصه وأفعاله وأخلاقه.. لا لانتمائه لتلك القومية أو الديانة أو الطائفة.. نحن لا نختار انتماءاتنا الدينية والعائلية والمذهبية.. ولكننا نختار بملء إرادتنا موقفنا في الحياة وانتمائنا لجهة الخير والحرية والحق أو للضفة الأخرى حيث الشر والقتل والإجرام..

هكذا بكل بساطة أرى الأشياء في سورية.. نحن طائفتان.. طائفة الحرية وطائفة الاستبداد وربما طائفة رمادية تشارك بصمتها بوعي أو لا وعي في استمرار القتل والتشبيح... وفي كل طائفة أشخاص من ملل ومنابت مختلفة يلتقون جميعاً على هدف واحد... هو الحياة والأمل في الأولى والقتل وإدامة عمر الاستبداد في الثانية...

النظام الديكتاتوري في سورية، ومنذ اللحظة الأولى وعلى لسان بثينة شعبان تحدث عن الحرب الطائفية.. لأنه على يقين أن في الطائفية طوق نجاته من بحر الدماء الذي خلقه.. لكن شعبنا صمد ومنذ خمسة عشر شهراً، ولم ينجرف للجحيم الذي يحاول النظام بكل ما يمتلك من شبيحة ومجازر وحشد طائفي سوقه إليه..

لم نكن يوماً شعباً طائفياً.. قد نكون قد وقعنا تحت حكم طائفي الشكل وفاشي النزعة... ولكننا لن نقع في الحفرة التي يحفرها عميقاً لنا.

تلك الحفرة ستكون القبر الذي سيدفن كل أحلامنا بسوريه التعددية والديمقراطية والمدنية، وأي خطوة باتجاه الطائفية ستكون بمثابة ألف خطوة للوراء بعيداً عن الحرية..

أثق بالتاريخ وبالمستقبل.. وما الكنائس التي تعانق الجوامع منذ آلاف السنين إلا إثبات لأننا "شعب واحد واحد واحد"... وكل من يحلل من الخارج ويتنبأ لنا بحرب أهليه واهم ومخطئ، ولا يعرف حقيقة هذه البلاد.. لن يكون هناك لبنان ولا عراق أخرى... هذه ثورة شعب مضطهد ضد نظام قمعي استبدادي... ولن تأخذ أشكالاً ولا مسميات أخرى... ومهما تعرجت الثورة في طرق فرعية وجانبيه لن تتوه وستبلغ هدفها في النهاية... وهو إسقاط هذا النظام.. لهذا قامت الثورة وستستمر حتى بلوغه.. وستنتصر...

فالشعوب دوماً تنتصر ويهزم الطغاة، هكذا علمنا التاريخ وهو لم يكن يوماً كاذباً..

و سورية فسيفساء التعايش والأديان، لم تولد مع الأسد ولن تسقط بسقوطه... سوريا الملونة بقومياتها وطوائفها وأديانها هي الأبقى وهي الأجمل.. كانت لوحة متناغمة على مر القرون وستبقى...

لن أضيف لأسماء أصدقاء عمري ألقاب طائفية، تناسب توقعات المحللين والخبراء بالحرب الطائفية، بأننا سنذبح بعضنا بعض.. نعم سيحاول الاستبداد أن يذبحنا جميعاً ولكننا سنحتمي بأجساد بعضنا البعض.. ولن أتذكر من كان منهم سني ومسيحي وعلوي وإسماعيلي... بل سأتذكر أنني احتميت بهم وسأتذكر رائحة أجسادهم التي حمتني من سكين القاتل.

أتذكر وأنا أتحدث عن التنوع والألوان.. دعاية ألمانية توضيحية للصغار عن العنصرية... كيس من حلوى الدببة الملونة وتحته كتب:

تخيل لو أن في الكيس دب بلون واحد، كم كان هذا سيبدو مملاً وبائساً!!!!!

بعقلي التبسيطي أرى سوريه كيس من الطوائف الملونة، التي لو كانت بلون واحد ولن تكون مملة وبائسة فحسب... بل ستكون بطعم الموت المر والقاتل.

عمل للفنانة سوزان ياسين باسم الشهيدان

في حكايات الموت وتحوّلات الجثة

■ نبراس شحيّد

بين الأحياء والموتى خبزٌ وملح!

كنت أخاف كثيراً من جثث الماضي، وما زلت أتذكر كيف بللتُ سروالي طفلاً حين التقيتُ الجسد البارد. كان جدّي بجانبي والجسد الممدّد كان جدّتي. لكن، هل كانت جسدَها أم كان لها جسدُها، ثم غاب؟ لا أعرف! كان المشهد عابثاً، وجدّي يحاول أن يحبس شهقته، لتُفلتَ منه دمعةٌ لم تعد المقلتان تتسعان لها. ومع ايقاع القطرات المنسلّة من عينيه، استطعت الاقتراب من الشيء الأصفر، لكنني لم أنجح في تقبيله إلّا حين تذكرت أن له اسما: أمّ رائد، جدّتي!

اليوم، بعد عشرين عاماً، أترك الكتابة ومقالات السياسة، لأعود إلى عالم الجثث، بعد ما اجتاح العسكر المدينة، فهدموا المنازل ليغيّبوا الموتى عن حكاياتهم. تتراكم الجثث مع تراكم الأيام، ويتكوّم المتظاهرون في الساحات وسمواتها: "يا الله ما إلنا غيرك يا الله...". هكذا، ابتدأت حكاية أنسنة الجثث!

للجثة المرمية جسد الحكاية

جلبتُ إلى الدار جثّةً من دون اسم:

امرأة عجوز قتلها الجنود وخلّفوها بلا هوية. بكتها فاطمة، زوجتي، عندما شاهدتها منحورة الرقبة، ثم هدأتْ لتطيل النظر في جثة المرأة، كأنها مرآة ضاعت في تجاعيد وجهها. أما أنا فقد ابتلعني الصمت، لينسدل اللحن من ثوب سكوني الممزق مختنقاً، شيئاً كالحنين: "أيتها النفس المطمئنة...!"

لم تنمْ فاطمة تلك الليلة، فقد أطالت النظر في المرأة- المرآة، حتّى أوشكت أن تتشرّب العجوزَ في جسدها. أما أنا، فأسلمتُ رأسي للوسادة، لأشاهد زوجتي، بين غفوتين، تسدل رأسها على كتف المرأة المجهولة، كأنها نبيّة تقيم ميتاً.

"ما اسمها يا عديّ؟"، قالت فاطمة في الصباح بلهفة، فأجبت ساخراً: "وما أدراني يا امرأة!". لكنني ابتلعت ريقي كمن يبتلع حجراً، وتملكني الهلع، فقد رأيتُ العجوزَ الليلة الماضية في حلمي تنظر إليّ وتبتسمُ بموت. "سمّني!"، قالت العجوز في المنام. "سمّني يا بنيّ كي أسكن الموت فلا أبقى شريدة!".

وبينما أنا تائهٌ في استذكار مفاصل الحلم، التفتتْ إليّ زوجتي لتقول لي: "فلنسمّ العجوز فاطمة!".

لم أُرد الاسم هذا، لكنني لم أستطع المقاومة، فهززت برأسي موافقاً، لترقد فاطمة العجوز في مقبرة الاسم قبل أن ندفنها في "حديقة الموتى".

الموت أسماء وأشلاء

أعاد العسكر اجتياح المدينة، وعدت إلى لملمة الأسماء والأشلاء. جلبتُ يومها ميتاً من دون هوية: رجلٌ بشاربين كثيفين، وعيناه لا تزالان مفتوحتين. جثةٌ تنظر إليّ، وفي سواد المقلتين ذكرى أخيرة. وضوح الملامح يقول ما لا يمكن قوله، فتسودني الحيرة: إلامَ كان ينظر قبل أن يُقتل؟ لا أعرف، ويجتاحني الشعور بالعجز. سألتُ فاطمة: "كيف يتجرأ الحي أن يغلق عيون الموتى؟"، فساد الصمت، لتقول بعد برهة: "خلّهما مفتوحتين يا عديّ، فلعل الميت يحمل معه آخر ما انطبع في عينيه! خلّهما مفتوحتين ليصدق الموتى أن حبيبته كانت جميلة!". بدت لي كلمات فاطمة منطقية، فلا جواز سفر إلى عالم الموتى إلّا خيوط الحكايات وذكريات قديمة قد لا تموت! "حبيبته جميلة يحملها في شبكية عينيه"، قلت في نفسي بشغف، لتتملكني الرغبة في أن أسأل فاطمة: "وما أدراكِ أن عشيقته كانت آخر ما رآه قبل أن يموت؟". لكنني أحجمتُ لأني أعرف أن حدس الأنثى لا يخطئ. فقلت لها: "فلنسمّه إذاً "الميت المفتوح العينين"، فأعجبها الاسم وقبّلتني، ثم أنشدت للجثة أغنية: "ذهبنا مقهورين، لا نملك إلّا بعض تراب لم نعطه...".

أرادت فاطمة أن نأخذ للميت المفتوح العينين صورة، فتبقى ذكراه على الحائط معلقة، تلفّها شريطة سوداء ناعمة تقول الحداد. لكنني ترددتُ لأنني أعرف الموتى ونزقهم! يتمرد الميت على أقفاص الصورة، كما على خاتمة الحكايات التي ننسجها لنسجنه، فنرتاح ونبكي. الميت ليس صورة معلقة ليبقى في مكان، فقد تشبّعت منه جدران المنزل، وأرصفة الطريق، وطاولة المقهى التي اتكأ عليها حياً ليلعب النرد، كما تشربته قصص الأحياء وهمومهم. لم يعد في مكانٍ بل صار المكان! فقلت لفاطمة: "دعيه حراً من دور صورة تؤطّره، وليبقَ سائحاً في الاسم الغريب، ولتبقَ حكايته فرضية بخاتمة ركيكة، نلتقط منها ما تتطاير من ذكريات العينين المفتوحتين". "يا لقسوة الحياة!"، أجابتني، ثم أخلدتْ إلى الفراش.

جاء دوري كي لا أنام تلك الليلة، فأضيع في تفاصيل الجثة التي بقيت مفتوحة العينين، كأنها تنظر إلى كل شيءٍ في اللاشيء. عرفتُ حينها أن اهتمامي بالجثث لم يكن مجرد نوع من إكرام الضيوف، فالأموات صاروا من أفراد العائلة، يتناسلون يتكاثرون... تذكرتُ ليلتها حكمة جدتي العجوز عن الموتى، روتها حين كنت صغيراً: "عندما تغني لميتٍ بشجن، في ليلةٍ مقمرة، منتصف الليل، سيستفيق يوماً لتأخذ أنت مكانه!".

الجثة التي بقيت من دون اسم

جلبنا جثّةً من تحت أنقاض بناءٍ تهدم. كانت جثّةً محايدة إلى حدٍّ العدم. لا بسمة على الشفاه ولا تجهّم، ولا عينين مفتوحتين تسربان شيئاً من الماضي. جثة مصمتة بلا

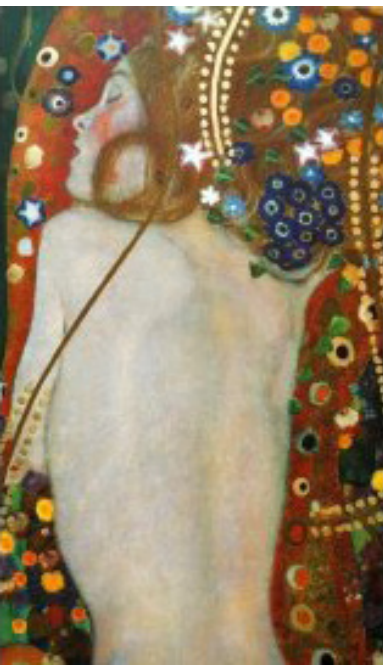

كولد ماونتن

■ رزان زيتونة

حكايـة! كيف نسـمّيها كـي لا تضيع في النسـيان، ومـاذا نكتب على الشاهدة؟ تجادلتُ كثيراً مع فاطمة، وعلتْ أصواتنا، لكننا لم نصل إلى اسـم، فقلت: "فلنضع لها رقماً إذاً ونكتب: "هنا يرقد الميت عشرون!". لكن زوجتي رفضت أن تبقى الجثة بلا اسـم خوفاً من أن تتوحّش، أو تصيـر ذئبـاً، فالجثث، كما تقـول فاطمة، "تّعوي إن أنت لـم تكلّمها!". لذا قررتْ فاطمة تسـميتها: "الجثة التي بقيت من دون اسـم"! "ما هذا الاسـم الغريب؟"، قلت في نفسي، لأسـتدرك: "هو اسمٌ ينحت حقيقة الموتى: غرباء ستبقون في عالمنا ومع ذلك أقرباء! لهذا، سنختلق لكم حكايات وأسماء كي تستمرّ الحياة".

للجثث فلسفاتها!

عندما تعمّد اسم الجثّة باللااسم، انهمرت دموع فاطمة، وخرجتْ تلعن السياسة وبطش الحياة. أما أنا فعدت إلى شجن الغناء، مستذكراً كلماتهـا قبـل أن تغيـب: "المـوت ولادةُ الحكايـات، وعهدٌ بيـن الجثث والأحياء!"

حدّقـتُ مجـدداً في الجثـة العاريـة أمامي وقد هممتُ بغسـلها. الميـت الآن يعطي كل شـيءٍ في حيادية الموت المطلقـة. أقلّبه بمنة فيسـتدير معي، ويسرةً فلا يقاومني. لا عورة تخجله، ولا شيء يخفيه عني، لكنه على الرغم من ذلك يخفي كل شيء!

الميـت يعطي ذاته مستسـلماً، ليوكلنا حياكـة حكايته، فلا يصير اللاشـيء. وهو، وإن بقي مجهول الاسم، له اسمٌ يقول غربته: "الجثة التي بقيت من دون اسم"!

عـادتْ زوجتي إلى الدار لترشّ بعضاً مـن ورد الرمّان على صدر الميـت. هـو الآن فـي البيت جثـة، واسـمٌ نختلقه كي لا يسـتوحش فيتوحّـش. لكنـه فـي مخيلة فاطمـة حكايةٌ أخـرى، روتهـا لي حين أغمضـتْ عينيهـا: "أراه هناك واقفاً قـرب زوجته، مـن النافذة يترقب بحذر، ليشاهد دخول العسكر الحيّ قبل أن تخترق الطلقة جسده...".

هكـذا هلك الميـت، وهكذا حمّلناه قبلةً يطبعهـا على جبهة أمه، ووردة، هنـاك فـي العالم الأبيض. هكـذا، أعطيناه اسـماً كي تختلط جثته بجسد الكلمات، فيقول لزملائه الموتى: "هناك في حمص اعتنوا بي وألبسوني حكايةً وكفناً، لكنهم لم يتملكوا الاسم!".

الاسم الذي بقي من دون جثة

قتل العسكر فاطمة وسرقوا جثّتها لتضيع. لم يبقَ منها إلّا قطعة من شـال أسـود، أفلتت من همجيتهم، واسـم. بكيتُها طويلاً، وبكيتُ معها الحكايات والأسماء التي طاشت، وتسلّلتْ طويلاً من بين الانفعالات أغنيتُهـا عن الموتى: "يا أحبابي عودوا حتى لو كنتم قد متم!". أخبرني الجيران يومها كيف ماتت مبتسـمةً حين أطلقوا عليها النار وهي عائدة إلى المنزل. ماتت من دون قبلة أودّعها بها، أو أسـتودعها إياها للأحباب هناك، ماتت من دون جنازة، لتتمرّد على الطقوس!

في سكرات الحزن، وبين جموع المعزّين، شاهدتُ، على ما أذكر، رجلاً له وجهٌ كوجه "الجثة التي بقيت من دون اسـم". ربما جاء ليشكر فاطمة على الاسـم والحكاية، أو جاء ليستقبلها بحياديته المطلقة في عالم الموتى. بدا لي واقفاً من بعيد يلوّح بيده، وعيناه مسمّرتان على الطاولة التي عليها تمدّد جثة قبل أن يُدفن.

في تلك الليلـة المقمرة، ظهرتْ لي فاطمة في حلمي مبتسـمةً، والتجاعيد بدت على وجهها الجميل، وكانت تناديني...

ملاحظة أخيرة

هذه كانت أشلاء حكاية عديّ، لملمها أصدقاؤه من مذكرات قاومت النسيان. استشهد عديّ في 25 أيار المنصرم، وهو يحاول انقاذ طفلٍ، لتبكيه أسماءُ من ماتوا قبل أن يندبه الأحياء!

أشـهر طويلة من العمل والخلافات والمصالحات والزعل والضحك وتلقي الأخبار وتبادل العزائم على وجباتنا الشعبية المفضلة والوعود باحتفالات ساحة الحرية. لا أعرف اسمه ولا ملامحه.

أتخيله في بدايات العشـرينات من العمر، لطيفاً وحميماً، سـريع الغضب وسـريع الابتسام، كثير الأسئلة حتى ليضطرني في كل مرة إلى أن أرجوه "ابني بكفي نق".

وهو في ذلك كله لا علاقة له بالاسـم الذي وصلنا بالأمس لشـهيد شـاب قضـى تحت التعذيب. حسـن الأزهـري لا أعرفه. كسـواه من عشـرات الأسـماء التي تمر تحـت أصابعي يومياً على شاشـة الكمبيوتر وأنا أوثقها.

صديقي الصغير اسمه كولد ماونتن. اخترت له اسمه بناء على طلبه. اسم شتائي، وجبلي، بعيداً عن أجواء مدينته السـاحلية، اللاذقية. صديقي الصغير كولد اختفى، وعبثاً أحاول مطابقة شخصه مع حسـن الأزهري الذي قضى تحت التعذيب، وطبعت نعوته من غير حتى لفظة شـهيد، وسيقام له عزاء تقليدي، من غير تشـييع يليق بما ارتكبت يداه من فعل الحرية والتحريض عليها والعمل لأجلها طيلة شهور الثورة.

اعتقل كولد في الثالث عشـر من نيسـان / أبريل الماضي. لم أفعل شيئاً من أجله. لم أوثق حتى اعتقاله. لم أسأل عن اسمه. كان يجب أن يموت كولد حتى أدرك حجم الموت الذي انتابني بدوري ببطء وتسلل إلي كالسم، في كل يوم يقضم جزءاً من إحساسي بالحياة والأحياء.

ومـاذا بعد توثيق الاسـم بعد الآخـر، وتوجيه النداء بعد الآخـر؟ أعمل كحفار القبـور الذي اعتاد دفـن مواته وهو يتثاءب، وعرض نعواتهم في متحف المنظمات الدولية. لماذا يحرص المجتمع الدولي على توثيق ما يشـهد من جرائم تحـت أنظاره؟ لماذا يهتم المجتمع الدولي بهـذا التنظيم وتلك الدقة في رصد أذيّات الضحايا وتحنيطها في أرقام وشـهادات وجداول؟ لماذا عليّ أن أسـتمع مرة تلو الأخرى إلى شـهادة معتقل يروي كيف تعرض للدعس والتمزيق والتشـويه والحرق، كيف قفزوا على رأسه أو قلعوا أظافره أو سلخوا جلده أو شاهدوا قطع لحمه تتناثر إثر ضرب سياطهم؟ وتسجيل ذلك كله وفقا "لقواعـد الرصـد والتوثيق" المعتمدة، وتطييره في أجواء العالم المتحضر كي يأسـف لحالنا ويدعو لنا بالخلاص! كي يبارك مهنيتنا، ويعرض علينا المزيد من التدريب. نحن مرتزقة الحرية، بنظره، نحتاج إلى قواعد أكثر، إلى أن نخجل من أنفسـنا، لأننا لسـنا متمدنين كفاية، لسـنا لا طائفيين كما ينبغي، وليست لدينا مناعة كافية ضد التطرف، ولا نحسن نظم أنفسنا في معارضة موحدة. تبا لنا.

يا كولد ماونتن، نحن المتطفلين على الحرية، حين نؤرق سمعهم بصوت تهشم عظامك.

لم أسـأل عن اسـم كولد أو تاريخ اعتقاله أو ظروفه. مضى كغيره... بكرة بيطلع أو ما بيطلع.. أبواب السـجن لا تنغلق على أحد، لكنها تنفتح عن جثامين في أحيان كثيرة. وكولد كان لطيفاً ورقيقاً، يكـره فكـرة أن يقع بيـن أيديهم، يدعو ربه أن يمـوت برصاصة أو قذيفة. في بلادي، الموت السـريع امتيـاز. وحين نتواعد عبر الانترنت على اللقاء في سـاحات الحرية، نعلـم أننا نقول ترهات، لأن كولد لـن يبقـى ليفي بعزيمة الفلافـل التي وعد بها. بدلاً من ذلك سـننعيه ونندم أننا لم نعرف اسـمه إلا ضمن قوائم الشـهداء، ولم نشـاهد ملامحه إلا من أجل التوثيق، ولم نجب على أسئلته المتدفقة كما ينبغي. شاب سوري صغير مثله في الرابعة والعشرين من عمره، أمامه العمر كله ليتساءل ويكتشف. هكذا تقول مدونات حقوق الإنسان ومبادئ المجتمع الدولي. العمر كله، وليس اختصاره بخبرة زنزانة وسياط جلاد وعالم يحدق بألمنا بوقاحة يا كولد ماونتن.

ولتعلـم أن هـذا ليس نعياً، هذه فقط تتمة محادثة لم تنته قط، وتبادل في الأدوار، حيث أسـأل وأسـأل وأنت تقاطعني بأنصاف الإجابات، وأستمر بالسـؤال حتى توقفني بكثير من النزق وأنت تقول "بكفي نق".

عن: The Damascus Bureau

يندرج التأمل هذا في مشروع أدبي- فلسفي مشترك مع علاء الراش للخوض في إشـكالية حكايات الموت وحضورها الكثيف في واقعنا السـوري. في السـياق هذا، نشر علاء "حكاية فريق الموتى" في جريدة "سوريتنا"، العدد الرابع والثلاثون، 2012/5/13.
نشر أيضاً في جريدة النهار اللبنانية 16 / 6 / 2012

عن أسلحة الدمار الشامل

عن الاغتصابات في أزمنة الجنون

تحية إلى نساء الثورة السورية وإلى من أُجبِرن على تذوق طعم المرارة

■ د. جمال خليل صبح

- 1 -

مساء الخير سيداتي وسادتي، هذا المساء لن يكون خيراً....

بهذه الكلمات افتتحت الصحفية الألمانية ماريا فون فيلسر الخبيرة بشؤون النساء، برنامجها الشهير في التلفزيون الألماني "موناليزا" عندما همّت بالحديث عن الفظاعات التي ارتكبتها القوات الصربية النظامية بحق آلاف النساء في البوسنة والهرسك إبان الحرب الدامية التي اجتاحت دول البلقان على خاصرة القارة العجوز في تسعينات القرن الفارط. كانت الاغتصابات الفردية والجماعية على يد الميليشيات الحربية بعد كل عملية تطهير عرقي (وقبلها أيضاً) تعتبر من أعتى الأسلحة التي استخدمها الصرب في حربهم الشاملة ضد البوسنيين والتي كادت تقترب من تخوم الإبادة بعد مرورهم بطور المجازر، التي يبدو أنه لم يَرُقْ ظمأ الجنود المسعورين...!!! ليس هذا وحسب، بل لقد كانت أقلها "كلفة"...!!! ففي إحدى الشهادات يروي أحد الضباط الميدانيين الصرب بأن الاغتصابات لم تكن أقل كلفة من البنزين والدبابات وراجمات الصواريخ فقط، بل كانت أرخص من أيّ طلقة أيضاً.. !! بعد انقشاع غمام الجنون، كان هناك ما يقارب الـ50 ألف امرأة من البوسنة والهرسك جرّبن ذاك "السحر الشيطاني" وبعضهن لمرات ومرات.... !!

- 2 -

قبل ذلك التاريخ بحوالي نصف قرن لم تكن القوات الألمانية الشرّسة "تحصد" الأخضر واليابس في ربوع المدن والقرى الشرق-أوروبية الممتدة من بولونيا حتى السهول الروسية فقط، بل كانت تنصب "ضوارب الجنود" في فروج مئات الآلاف من النساء في جُلّ مناطق الاجتياح، كان للنسوة الروس نصيب "الأسد" منها. يخطرنا خبراء توثيق الحرب العالمية الثانية بأنه في أرجاء السّيادة الألمانية العسكرية الضاربة كان هناك ما يقارب المليونين من حالات الاغتصاب من جميع ضروب ألوان الرعب والفظاعة. بالمقابل، لم يجد الجيش السوفييتي "الأحمر" غضاضة في ردّ الدين "الثقافي" تحت سطوة النصر و"الفودكا" في حفلات مجون فاقت كل تصوّر، لم تسلم منها حتى العجائز والطفلات الصغار.. !!! مع سقوط الرايخ الثالث كان لدينا أكثر من 250 ألف امرأة وفتاة ألمانية تذوّقن طعم الفودكا "قانية اللون" بمرارة لا مثيل لها، رافقتهنّ حتى الممات...!!

- 3 -

إلا أنّ تاريخ "السلاح المنوي" لم يسجل حادثة على قدر كبير من الوحشية والفظاعة الممنهجة كتلك التي ارتكبتها القوات اليابانية سنة 1937 في عاصمة الصين الأسبق والتي عرفت بـ"مذبحة نانجينغ". ففضلاً عن استباحة المدينة بالنار والحراب ووصول عدد القتلى إلى أكثر من 300 ألف مدني وعسكري "غير مسلح"، تم على مدى ستة أسابيع اغتصاب أكثر من 20 ألف امرأة وفتاة وطفلة بطرق سادية لا تخطر على بال إنس ولا جان، فجّر فيها جنود الساموراي، عَابسو الوجوه، فحولتهم بخسّة حفظتها لهم أجيال وأرواح حتى يومنا هذا...!!!

- 4 -

تكفي نظرة عابرة على النزاعات والحروب الأهلية والقومية التي زيّنت العقود الأخيرة حتى نعرف أنّ الاغتصابات كانت ولمّا تزل إحدى أعتى الأسلحة الفتاكة التي يلوذ بها الجنود والمتمرّدون وميليشيات الموت المتنقلة في مشاريع "إمحاء" الآخر/العدو، وهذا لم يقتصر على الحروب الطاحنة بين القوميات والشعوب فقط، تعدّاها إلى الحروب الأهلية والنزاعات المسّلحة بين المجموعات البشرية والثقافية، بالإضافة إلى قمع الانتفاضات والثورات في بلدان عدة: لقد "فعلها" التوتسي في إبادة الهوتو في أرجاء رواندا، و"مارسها" "الجنجويد" العرب في دارفور، "تعاطتها" كل الأطراف المتحاربة في الكونغو-يتين (برازافيل وكينشاسا)، "لم تنسها" كتائب القذافي في اقتحاماتها لمدن وبلدات الغرب الليبي في إطار محاولاتها المتكررة لإعادة المنتفضين إلى عتبات بيت الطاعة عند أقدام و"هذيانات" العقيد، لا بل وجربتها ميليشيات الأسد أيضاً...!!؟

- 5 -

لم يمض عام على الثورة السورية حتى رشحت أنباء من مصادر مختلفة عن قيام بعض الجنود من الجيش النظامي وأفراد من الأمن والمخابرات باغتصابات طاولت عديد النساء والفتيات في بقاع مختلفة من القرى والبلدات السورية الثائرة المقتحمة. فبناءً على معلومات لم تقتصر على نشطاء الثورة فقط، هناك ما يقارب العشرات من حالات الاغتصاب، كان أكثرها وحشية تلك الرواية التي تحدثت عن اغتصاب طفلتين في العاشرة والرابعة عشر، أسفرت كلتا الحالتين عن حمل في موقف يستدعي مشهد يليق بالفانتازيا عالية المرارة: طفلات يحملن أجنّة...!! في تقارير أخرى هناك شواهد على حدوث حالات اعتداءات جنسية واغتصابات طاولت العديد من المعتقلات و"المعتقلين" من نساء ورجال وحتى أطفال في مراكز التحقيق وأجهزة الأمن والمخابرات. بعضها كان يتم بطابع تلذذي وسادي الهوى، بينما اتّسم البعض الآخر بمحاولة إرضاء الشهوة من قبل بعض المسؤولين عن هذه الأجهزة كنوع من الترويح عن النفس بعد شهور من "فلتان الأعصاب" الذي تسببت به صيحات آلاف السوريين الصامتين الذين تجرأوا على الكلام.. !!

- 6 -

في حرب البلقان، على الأقل، وفي بعض الحروب الأهلية في إفريقيا هناك ما يشير إلى أن "قاذفات الجنود الحيوية" كانت جزءاً حاسماً ومنهجاً من الإستراتيجية العامّة لتدمير العدو وسحقه، خاصة عندما تكون مشاريع "التطهير العرقي والإثني" موضوعة على طاولة الجنرالات وقادة التمرد، بينما تتكفل ضلالات التفوّق العرقي وآلام التاريخ السياسي، القريب والبعيد، المتخيل والواقعي، بتحفيز مخيلات الجنود وعناصر الميليشيات المتقدمة، ممهدة الطريق لـ"بركنة" البيولوجيا الفردية والجمعية تنتهي بانفلات غرائزي فائق ومُدمّر، لتنطلق أعتى الأسلحة ذات الدمار الشامل...! تعتبر ظاهرة "الاغتصاب السياسي" في الصراعات والحروب مدعاة كبيرة للنظر، لماذا تنطلق غرائز "الجندر" بتلك القسوة والهمجية ما دام الحسم العسكري والسيادة على الأرض قد بلغا أوج ما يصبو له قادة "الشّر" الميدانيون؟ بعض الآراء تحدثت عن بيولوجيا-اجتماعية تفعل فعلها الضارب لدى الجنود والميليشيات المحرومين والموعودين، تتضافر فيها عوامل هرمونية تتلبس بالمنتصرين "الذكور" وتستنفر هممهم بمستويات عالية من التستوستيرون، الحالة التي تدعمها "هيستيريا" جماعية تذوب فيها ملامح الفرد وتنتصر روح الجماعة الذكورية الهمجية. في النهاية يقبل جحافل "المسعورين" على ضحاياهم الأضعف تاريخياً وجسدياً، في موقعة تكون فيها النساء وكل ما يمت إلى الجنس الآخر بصلة "موضوعات" تستقرّ فيها أكثر السلوكيات البشرية بدائية وعنفاً.... !!

- 7 -

ولكن هذا ليس بكافٍ لفهم طبيعة "الاغتصاب السياسي" وخاصة في أجواء الحروب الأهلية حيث يبلغ العنف مستوياته الأعلى على طريق إمحاء الآخر، سحقه، وإذلاله بلا هوادة. وهنا بيت القصيد. ! لو تفحّصنا المعاني الكامنة لعمليات الاغتصاب في أجواء الحروب والصراع وقمع الانتفاضات سوف نجد أن لها صلة وثيقة بجانبين مهمين: الجانب الأول على علاقة بصورة "الآخر" للضحايا في مخيلة "الأنا" الفردية والجمعية للجناة، إنها الـ"من أنتم" تلك، شهيرة العقيد في أوج هذياناته ونظراته الممزوجة بالوعيد القيامي المرعب. أما الجانب الثاني فيتصل بالإحساس العميق بالقوة والسلطة، مضافاً إليه إحساس أعمق بضرورة ممارسة هذه القوة وإظهارها على قدر كبير من القسوة، حتى تعرف الضحية حق المعرفة مع من تتواجه، إنها الـ"بدكن حرية"، تساؤل القوة المنفلتة، ممزوج بسطوة الحساب الوحشي المسعور.... !!

- 8 -

الحديث عن الآلاف والمئات والعشرات يجب أن لا يعمي الأبصار عن المعاناة "الفردانية" فائقة الألم للحدث. تتميز جريمة الاغتصاب عن غيرها من أنواع السلوكيات العنيفة ضد المرأة بقدرتها الفائقة على إحداث إغراق إدراكي عالي القسوة، تحاط فيها الضحية بكل "حراب" الحواس، يتم فيها استحواذ كامل للجسد، الحالة التي تنتهك فيها حدود الذات "المتجسدة" وتنتفي تماسات هذا الوجود

باستحواذ قسري يجهد فيه الجاني لإحداث أكبر قدر من الألم، النفسي والجسدي الماحق. ورغم الفيضان البصري، السمعي والحسّي، فائق العدوانية، إلا أن الانتهاك الناجم عن حاسة الشم هو بحق أعتى ما ينحته الموقف في أعمق طبقات ذاكرة الضحية. بعد انجلاء المعارك تذهب روائح البارود والنار، أما في حالات الاغتصاب فرائحة الجاني/الحدث تظل حية لا تكل ولا تمل عن مطاردة الضحية متحلية بأخلاق الذئاب...!!؟

- 9 -

(جعلونا نجثو على الأرض حول الساحة، وقاموا بنزع العصابات عن أعيننا.. وصعقنا عندما رأينا شابة عمرها 23 سنة.. مقيدة إلى فراش وهي عارية تماما.. يقوم باغتصابها مساعد من الأمن... بدا على المرأة أنها منهارة تماما.. لم تكن تبكي أو تصرخ.. وكأنها قد فقدت الإحساس... فلم تعد تشعر بما يحدث لها.. أو...)

شهادة معتقل سابق في سجون الأسد أثناء الثورة

تشير أدبيات الصّدمة النفسية بأنه في حالات التعرّض لموقف مُهدد ومحفز على الخوف الشّديد مثل الاغتصاب تحدث عملية نفسية لاواعية تقوم فيها دفاعات الأنا عند الضحية بنوع من الانسحاب الذاتي من الموقف، يتبدى على شكل استسلام كامل تجاه المعتدي ومراقبة الموقف كحادثة منفصلة عن الذات.

تعرف هذه الظاهرة باسم "التفارق" أو "الانشطار النفسي" (dissociation) وتكمن أهميتها في محاولة العقل الباطن التخفيف من حدّة الموقف الصّادم ومحاولة حماية الذات من الانهيار. أثناء ذلك يقوم الدماغ بإفراز مواد كيميائية مخدرة (مثل الأوبيات والإندروفين) وذلك لرفع عتبة الشعور بالألم الناتج عن الموقف المرعب. في غضون ذلك تتعطل المراكز الدماغية المسؤولة عن تخزين المعلومات في الذاكرة قصيرة المدى وذلك بسبب إغراق المنطقة الدماغية من الدماغ الأوسط "في الهيبوكامبوس تحديداً" بتراكيز عالية من هرمون الكرب أو الكورتيزول المعروف بإعاقته للمعالجة المعرفية الخاصّة بالحدث الصّادم. ورغم أن الذات مجهزة بمحور الكرب الحيوي (المهاد-النخامة-الكظر) استعداداً للمواجهة في أوقات الخطر عبر تشكيل استجابة اضرب أو اهرب، إلا أن حالات الاغتصاب بكونها أعلى درجات العدوان الشامل، لا تسمح للضحايا بتفعيل هاتين الاستجابتين ذاتي التاريخ الإنساني الموغل في القدم. هنا، لا يبقى أمام الضحية سوى الاستجابة التفارقية كحل أخير للتخفيف من آثار الصّدمة والألم النفسي والبدني الناتج عن الاغتصاب قدر الإمكان. لذا يجب علينا جميعاً ألا نفاجأ بسلوك الضحية كالسذج ونساءل أنفسنا والضحايا لماذا لم يتم فعل كذا وكذا وإلا شرعنا بفعل إغتصاب ثان، الضحية في غنىً عنه حتماً.....!!

- 10 -

وأخيراً، يوما ما سيغدو الوطن السوري، كربوع ألمانيا وروسيا وسهول إفريقيا، التي تحتل فيها الأزهار مدّ البصر. ولكن، حالما يأتي ذاك اليوم علينا التمهّل وتخفيف الوطأ قليلا، علنا نطأ أرضاً أو حواري كنّ يئنّ فيها من لا حول لهُنّ ولا قوّة، عندها علينا جميعاً أن نساءل أنفسنا: ماذا فعلنا كي نحد من انتشار "أسلحة الدمار الشامل"، على تلك الأرواح الأحياء-الأموات تشفع لنا صمتنا العميق في حضرة صمتهن الأعمق..

نشر أيضاً في موقع الأوان 10 / 6 / 2012

تانغو سبعُ جلودٍ / في سبيلِ البعثْ

■ جمال منصور

لا،
ليست هذه أحلامي
لا،
ليست هذي أغنياتي الصغيرةَ / ولا ورودَ أمي، في تنكاتِ السمنةِ المتقاعدةِ / ولا شوارعي / ولا شمسي الوقحةَ
تلكَ الـ رسمتها أصابعُ "طلائعِ البعثِ"
على جدار الخرابةِ الـ ما زالت واقفةً تتحدى البناياتِ النظيفةَ
على مدخلِ الشارعِ المؤدي لبيتِ حافظِ الأسدِ
الـ لم يكنْ يوماً يحب الأغنياتَ
ولا الوردَ
ولا الأحلامْ...
[اليتيمْ - للبعثِ، يا طلائعْ]

* * *

كم طابةَ "تانغو" ذاتِ السبعِ جلودٍ ركلها زميلنا
ابن الضابطِ -الإلهِ إلى السماءِ
لتسقطَ في فناءِ مدرسةِ البناتِ،
الـ كنَ يقهقهنَ بخبثِ أبلهٍ
على ذكورتنا المخصيةِ، ولعبنا الفاشلِ،
في كرةِ القدمِ -
كم سندويشةَ سجقٍ بالمخللِ الرخوِ تجشأها في وجهِ الأساتذةِ،
كم مفتاحاً لبابِ المدرسةِ سرقَ من الأذنةِ -المخبرينَ
كم هرباً، بالهرولةِ، إلى اللا-مكانِ جربناهُ
من المدرسةِ
منهُ
من حافظِ الأسدِ
لكننا بقينا
كالفئرانِ في قفصٍ -
كالفئرانْ...
[تانغو، سبعْ جلودْ]

* * *

لمْ أصدقْ
أن حافظَ الأسدِ قد ماتَ
حتى رأيتُ، بأمِ العينِ
"مروان شيخو"
يبكي / ينهقُ، كحمارٍ فقدَ صاحبهُ، الـ يمتطيهِ / يمصمصُ شفتيهِ / ينفخُ أوداجهُ، الـ تكادُ تنفجرُ من البدانةِ، والرياءِ / يمخطُ
كالأراملِ الكاذباتِ
على شاشةِ التلفزيونِ، على خلفيةِ زرقاءَ -
ثمَ
رفعتُ رأسي إلى السماءِ
الـ خلتْ من الغيومِ، تماماً،
كأنما
حتى اللهِ
أرادَ أن يستمتعَ بهذهِ اللحظةِ
ليلقي على الأرواحِ بابتسامةٍ زرقاءَ
صافيةٍ
هازئةٍ
شامتةٍ
بمنْ ادعى لنفسهِ
الأبدْ...
[إلى الأبدْ، إلى الأبدِ، يا حافظَ الأسدْ!!]

* * *

أنا
لم أدخل حزبَ البعثِ،
- ليس بالرضا، على كل حالٍ -
لكنه
دخل في تفاصيلِ حياتي كلها
في تلفزيوننا / في مدرستي / في كلماتنا / في تحيةِ الصباحِ الدميمةِ / في برنامجِ
الرياضةِ / في مجارير حارتنا المفتوحة على الدنيا، كأمعاءِ الخرفانِ الـ تُذبح على أعتابِ الضيوف، ثم تُهمَلُ للذبابِ والغبارِ، يأكلها
لم أكنْ يوماً عضواً في البعثِ،
- لكن "عضوهُ" كان فيَ، على الدوامِ
يعيثُ خراباً في أحلامي
ومخاوفي من كل ما حولي
ويلقي ببولهِ
وقيئهِ
ومنيهِ
...في كل تلافيفِ دماغي
أعرفُ
أن البعثَ كان جثةً
مومياءَ حنطها حافظُ الأسدِ
ليُحكِمَ بقبضةِ جلدها المتعفنِ،
النتنِ
على أمسنا
ويومنا
وغدنا
أعرفُ
كما أعرفُ
- كذلكَ -
أنني ما زلت، كل ما مررتُ بشرطيٍّ
أينما كنتُ في الدنيا
ببلاهةٍ أردد الشعار
"أمةٌ عربيةٌ واحدة"
ثم أبكي
... كالأرامل
["عضو" حزبي]

* * *

أظنُ
لا أحدَ كان يعلمُ
أن حافظَ الأسدِ
حين سماها
"دولةَ المؤسساتِ"
كان يعني
مؤسساتِ الخضارِ
والأمنَ
... فحسبْ
[دولةُ مؤسساتْ]

* * *

أكادُ أراهنُ
أن جهنم الآنَ تمتلئُ حتى الطفحِ بأفرعِ حزبِ البعثِ / والمسيراتِ / وأساتذةِ "التربيةِ القوميةِ الاشتراكيةِ" / وصورِ "القائدِ الخالدِ"
الـ لا بد انقلبَ
على عرشِ الإلهِ
- بحسبِ العادةِ -
وطردَ الملائكةَ
وأوقفَ على بابِ السماءِ
رجالاً اشداءَ
مفتولي العضلاتِ والحقدِ
لا يخافونَ
...اللهَ
[جهنمْ - إلى الأبدْ]

* * *

من أي سوادٍ بالضبطِ
- يا إلهَ الثكالى المزمناتِ -
تصنعُ روحاً كروحِ حافظِ الأسدِ
أو حزباً كالبعثِ
أو دماغاً كدماغِ شريفِ شحادةَ
أو ضميراً كضميرِ البوطي؟؟
[MECANO]

* * *

لأجلِ الوحدةِ
والحريةِ
والاشتراكيةِ
سنبقى
نلعقُ
أطرافَ الأرصفةِ / سلاتِ الزبالةِ / الواجهاتِ الـ لا تطالها أيدينا / نشراتِ الأخبارِ
في بحثنا المحمومِ عما يشبهُ
شمسَ بلادنا -
ألا
هل تبت يدا أبي لهبٍ
وتبْ!!!
[في سبيلِ البعثْ]

حبر حر

أنا حر أكتب بلغة حرة دون تكلف أعبر عن أفكاري بدون قيود أو معوقات لغتي بسيطة وهدفي واضح كلمة حق تصل مباشرة لكل من يعيش معاناتي ويحلم نفس حلمي .. أنا مواطن سوري حر.. حبر حر: مساحة رأي تنشر بالتزامن على المواقع التالية:

سوريا فوق الجميع | كبريت | المندسة السورية | صفحة الشعب السوري عارف طريقه | صفحة حركة شباب 17 نيسان | راديو واحد | زائد واحد | مجلة سوريتنا | مجلة سوريا بدها حرية | صبايا وشباب المجتمع المدني

كتائب الموت "الشبيحة" كيف يفكرون؟ كيف نوقفهم؟

كتائب القتل والموت في التاريخ:

دخل الجيش النازي إحدى القرى الفرنسية المحتلة، كان يوما صافيا والقرية آمنة لا يوجد فيها أي أثر للمقاومة أو السلاح، وكان الجيش الفرنسي قد انهار وهرب جنوده إلى باريس.

جمع الجنود النازيون الأطفال والنساء في الساحة العامة، وبدأوا بفرز الأطفال والنساء باتجاه الكنيسة والرجال باتجاه آخر. في الطريق إلى الكنيسة كان الجنود الألمان يلاطفون الأطفال ويضحكون معهم ويعطوهم بعض السكاكر.

جاء الضابط النازي، شحن الجنود بتحية هتلر فاصطفوا باستقامة، خطب فيهم بضع كلمات وأمرهم بحرق الكنيسة بمن فيها، فنفذ الجنود الأوامر بدقة متناهية وكأنهم مبرمجون على التنفيذ، بلا أي امتعاض ولا تردد.

ويروي أحد الشهود أن الأمهات كنّ في الداخل يحاولنَ إخراج بعض الأطفال من الشبابيك لإنقاذهم، فكان الجنود يأخذون الأطفال، ويفتحون شبابيك من الجهة الأخرى ويرمونهم داخل حفلة الشواء في الكنيسة المقدسة التي كانت تقرع أجراسها بلا جدوى.

الجنود غير عابئين لا بنظرة طفل مرعوب، ولا برجاء أمّ مفجوعة، ولا بقدسية بيت من بيوت الله، ولا برائحة الشواء البشري التي عبقت في ثيابهم وزكمت أنوفهم.

وقف علماء الاجتماع والنفس والأخلاق طويلاً حول هذه الظاهرة، وأخضعوا بعضا من مرتكبيها للتحليل والتشريح النفسي، علهم يفهمون كيف يتحول الإنسان إلى متوحش يفوق الخيال.

ملخص ما وجدوه لاحقا، أن هؤلاء القتلة الباردين، لديهم شيء اسمه "الإغلاق العقلي mental block"، بحيث ينقفل العقل تلقائيا حين تعرض الفكرة المستخدمة في غسيل دماغ المتلقي، فيرفض المحاكمة التقليدية أو حتى مجرد التفكير أو التردد. فكل فكرة لا تخدم ما تدرب عليه، هي فكرة غير قابلة للدخول إلى عقله.

فهو - برأيه- بريء من الجريمة وإن ما يقوم به ليس جريمة أصلا، إنه يتلقى الأوامر، والأوامر تأتي من القائد المسؤول عنه، الذي يمثل الرمز لأكبر له. الإله المجيد ورب وجوده

كان هؤلاء الجنود يرون بهتلر هذا الإله وهذا القاتل خضع لعنف ممنهج أوصد عليه كل فكرة تخالف منطقه. فأصبح أسير المنطق التالي:

الزعيم، أو القائد، هو الله وهو المنقذ وهو المقدس الوحيد.

الحزب أو الفكرة التي جاء بها الزعيم هي الديانة والإيمان التي ترضي أناه الأعلى. أي مكان القيم والمثل والإنسانية.

الطائفة أو العرق أو القبيلة، هي المصطفاة الخالصة المختارة "العرق الألماني هو أرقى أنواع البشر، وكل الأمم دونه بالرتبة".

تدخل هذه الفكرة إلى اللاشعور. فيتوحد "الآريون / العرق الآري" والقريبون منهم في شعور جمعي واحد إنهم منذورون لعظمة الإنسانية وإن حربهم تطهيرية لنقاء وجودهم.

وإن معركتهم مع من يهدد فكرتهم، إيمانهم، حزبهم، قومهم، أو عرقهم هي معركة وجود، وإنهم إذا لم يسحقوا من يهددهم سيتعرضون هم للسحق والإبادة

و يعتمدون على تكتيك مثالي لمثل هذه الهمجية المبررة، احتقار العدو ونزع الصفة البشرية والإنسانية عنه كي تسهل تصفيته، وعبر سلسلة من العنف المنظم التي تلغي الآخر نفسيا فيصبح قابلا للإبادة، ليتكون وجودهم ويخلقون أبطالهم ويحتفلون بإجرامهم.

لأنه بعرفهم وقيمهم من مارسوا عليه فعل القتل والتنكيل والإذلال ليس بشريا ولا يرقى بالرتبة إلى الاصطفاء الذي هم عليه.

وإن أظهروا بعض المظاهر الإنسانية كاللعب مع الأطفال واللطف العام، لكنهم في اللحظة التي تأتيهم بها الأوامر يبدأون بعملية الإغلاق العقلي كي يستطيعوا تنفيذها.

فشل أعظم المحللين النفسيين في فتح ثغرة بهذا الإغلاق العقلي لفهمه وفهم الآلية التي يعمل بها منفذو الجرائم أو ما يطلق عليهم كتائب الموت.

فأعلنوا عن خشيتهم المرعبة حول فشلهم في إعادة آلاف الألمان للحالة الإنسانية الطبيعية بعدما تعرضوا له وعدم قدرتهم على فك هذه التعويذة الإجرامية لعقولهم.

ولكن فجأة حصل ما لم يتوقعه ممن يعمل مع هؤلاء الأسرى من فرق الموت النازية الذين تنتظرهم أحكام إعدام فبمجرد تأكدهم من موت الزعيم، ورؤيتهم لصورته منتحرا برفقة عشيقته،

بدأوا يستجيبون للعلاج، كانوا منومين تحت سطوة القائد الأعظم كانوا يقتلون بيده يتماهون معه ويشعرون أنه في داخل كل واحد فيهم كان هو القاتل وهم الأداة طبعا لم يشفع لهم هذا الاستنتاج. ولكن على الأقل أوضح لنا حقائق جديدة عن هذا الكائن البشري.

العنف المرعب الذي تقوم كتائب القتل مغسولة العقل مقفلة التفكير هي تقوم بأعلى ما لديها من طائفة فتك وقتل، لتحريض الضحية على أي فعل عنفي وحين لا تجد الضحية سوى أن تقابله بمثله، وهنا يتضاعف عنف كتائب القتل بما لا يتخيله عقل، كل مواجهة بالمثل، تجعلهم يفتكون بالحياة بشكل أكثر عنفا. سعادتهم القصوى أن أعداءهم صاروا يشبهونهم فيدخلون في سباق الإبادة. كما في رواندا أو جرائم النازية، أو الفاشية. أو جرائم الجيش الياباني في احتلاله للصين في القرن التاسع عشر.

كتائب القتل والموت في سوريا:

بدون الكثير من العناء نجد أن في سوريا، كتائب موت من نفس النوع، تتقاطع بالكثير من الصفات مع ما حدث سابقا هذه الكتائب تعمل بشكل مستقل وتحت إشراف مباشر من عائلة النظام. بدأت على شكل قناصة، ظلت تستنفر الثورة السلمية (لأن عملها لا يصح ولا يصلح في ظل أي نشاط سلمي فهو يهزمها أو يعطب فعاليتها) حتى بدأت مظاهر التسلح، كما اعترف بشار الأسد شخصيا "إله الكتائب ومسيرها" بأن التسليح بدأ في رمضان، (وقصده التسليح المطلوب لبدء عمل كتائب الموت الفعلي)

مع جنوح قسم من الصراع إلى العسكرة التي أُجبرت عليها الثورة السورية، صارت هذه الكتائب أكثر شراسة، ومع اختبار قادتها لفعاليتهم الأولى بمجزرة كرم الزيتون. استنتجوا أن نتائجها مبشرة. فالإدانة الدولية خجولة وأقرب إلى الإشارة الخضراء والتصريح غير المعلن بالمتابعة والرسالة لكل الطوائف وخاصة طائفة النظام: "أنا أرتكب المجزرة وأنتم ستدفعون الثمن إذا لم تقفوا معي". الرسالة الأخرى للصامتين لكي يتلبسهم الرعب.

نجاح النتائج أكد للنظام فاعلية عمل هذه الكتائب، فرفع سوية الحقد لخلق ردود أفعال أعنف تعطيه الحق بالرد وتحميه من الوصول إلى محكمة جرائم الحرب في "لا هاي" وتبرر له القيام بما عزم عليه: الإبادة والسحق.

نعم كتائب الموت تعمل تحت هداية رأس النظام شخصيا، لن يوقفها أحد سواه "إلبس بدلتك العسكرية يا سيادة الرئيس" "لأجل عيونك منشرب دم" "أنت أو لا أحد" "الأسد أو نحرق البلد" "شبيحة للأبد لأجل عيونك يا أسد" "قل ربي بشار الأسد".... إلخ..

كل هذه الشعارات التي تثبت وجود هذه الكتائب وتماهيها مع ما سبق حدوثه في التاريخ.

وللتأكيد والتوكيد، جاء خطاب إله المجانين الأخير ليتماهى مع غريزة

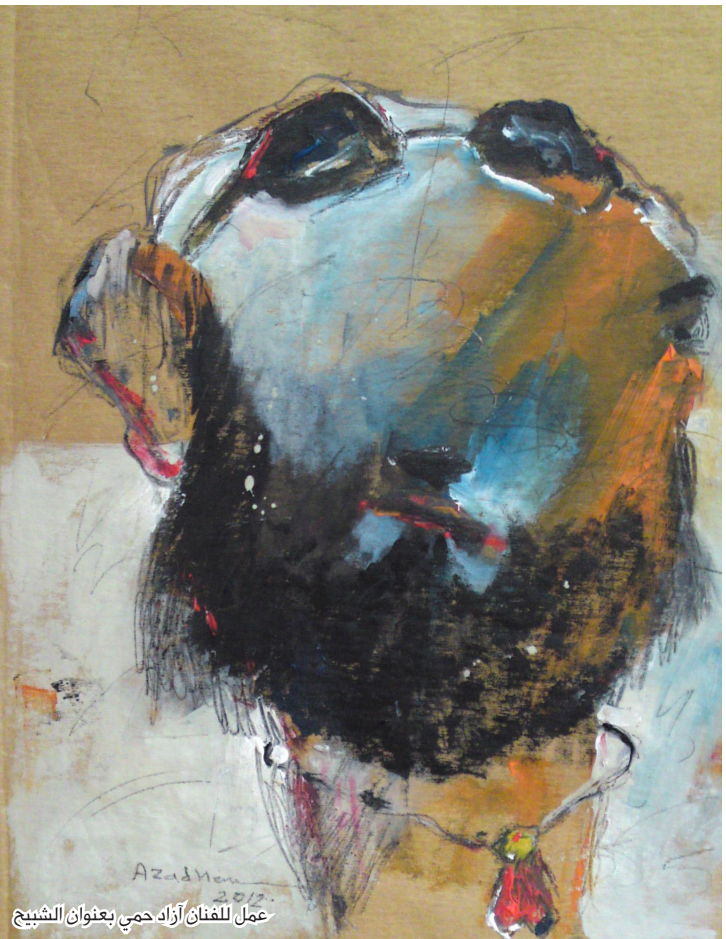

عمل للفنان آزاد حمي بعنوان الشبيح

الـدم "الفـوارة"، ولكن لمـن يتقن قـراءة التاريخ بهدوء سيكتشـف أنه على العكس من إله الألمان، كان خطاب بشـار الأسد خطيراً فعلا، ولكنه خطاب خسـارة واضمحلال وليس خطـاب انتصار وتفوق تحول فيه من قائد للدولة والمجتمع وزعيم إقليمي إلى قائد ميلشيا وكتائب الموت. من هنا فكّت اللعنة عن الكثيرين، وتحديدا المحيط الحيوي التي تقيم فيه كتائب الموت السوري، وهم ثلاث فئات رئيسة تحمل صفات "الصمت والمباركة والتمويل "

هـؤلاء رأوا حقيقـة وجـه سـيادة الرئيـس، رأوا اندحاره، سمّية روحه، انمساخه حتى من دكتاتور طيب إلى مجرم هش محتقن بالغضب والكراهية والغل.

ما الحل:

إذن ما العمل: نريد رأي الجميع، التفكير البارد في مصلحة الثورة ومصلحة السوريين.

نعتقـد أن المطلـوب اليـوم هو القـدرة على جعل رد الفعل يأخذ شكلا مغايرا للفعل.

نعم، يجـب أن يكـون هناك رد فعـل، ولكنه إذا كان مـن جنـس الإجرام نفسـه فنحـن نعطي تفويضا بالقتـل للمزيد من المرضى القتلة. إنهم مجرمون ويجب أن يحاكموا ليس لدينا بطر الأطباء النفسـيين والمعالجـة.. لكـن أيضا يجـب فهمهم لخلـق طريقـة للتصدي لهم وأهم مـا يجب عمله تحييـد أبرياء الطوائـف أو الحزب أو حتى ممن هم في السـلطة. ممن لم تتلطـخ أيديهم لأنهم أيضا يرزحون تحت تأثير تهديد فج واضح غير مسـبوق من الأمن والمخابرات المنتشـرين في كل مفصل مـن مفاصـل الدولة. محاولة مسـاعدتهم لكسـر حاجـز الرعـب وليـس الخـوف فقط فهـم الحامل الذي، سـيبقي الدولة ولا يدمرها كمؤسسات، بعد سقوطه الحتمي

الأهم الابتعاد عن اللغـة التحريضية العامة، والانجـرار إلى ما يريـده ويوفر للنظام مسـاحات للمنـاورة. لغـة الذبح والحقد والسـفح والسـلخ.. وتعميمها على طائفة أو لون.

عدم السـماح بتسـلل لغة غريبة عـن الواقع السـوري، والقبول للانجـرار أن تصبح الثورة جزء من تصفية حسـابات المنطقة. والتأسيس لخطاب العنف والتقسـيم والكراهية الـذي يجول في روح المنطقة، لا يمكن لشـعبنا أن يدفع ضريبة غريبة عنـه. ولا تخصه وليسـت معركته، لا مع الشـيعة ولا شـعب إيران، بل مع نظامه والأنظمة والأحزاب التي تناصره.

يجـب إخراج بشـار الأسـد بـأي طريقـة من المـكان، رحيلا أو موتا، سـجنا أو محاكمة. احتمال كبيـر يجعل مـن ميلشـيات الموت تنهـار وتندحر هكذا تحدث التاريخ المُجرب، وهؤلاء ليسـوا أقوى من هتلر وموسليني كتائبهم.

يجب الكف عن الصراع غير المجدي للثوار بين مسلح ومسالم. فالعملية تكافلية بحتة فلا السلاح وحده يجدي نفعاً ولا الحراك الثوري السلمي وحده يجدي

الأهـم الآن هـو وقـف أخطـر ما يجـول في فضاء سوريا، كتائب الموت وكتائب الموت المضاد بأسرع ما يمكن، وغالبا يكون بقطع الرأس فينهار الجسد..

كتائـب الموت يجب أن تحاسـب حتمـا، ولكن من غذّاها ومولها وأطلق سـراح إجرامها سيحاكم ويحاسـب، ولا يمكـن الـكلام عن سـوريا طبيعية أو معافـاة إن لـم تتحقق العدالة لأهالي الشـهداء والضحايا.

فبدونها ستكون شـريعة الغريزة هي الحكم والمحكمـة مـا يعنـي ضحايا جـدد وكتائـب موت جديدة.

نتابع في الجزء القادم:

في معرفة عقل الضحية حين يشبه جلاده؟..

هل الطائفي المقاتل مثل الطائفي القاتل؟..

عن قابلية الحرب الطائفية أم الحرب الأهلية؟..

عـن الموت السوري

(نصـوص قصـيرة)

■ صهيب محمد خير يوسف

(عن المعنى)

ومرَّت سَنَةْ
ولم يعُد الشهداءُ إلى السَّوسنةْ
بعيدون أنتم كثيراً.. كأمسْ
قريبون منَّا.. كظلٍّ يلاحقنا، أو كهَمسْ
مضيؤون جداً.. كشمسْ
.. أحاولُ أن أصطفيْ للشهيد معانيَ تُشبهُ،
في حدود الحقيقيِّ والواقعي،
بدون انزياحٍ ولا أنسَنَةْ.

(عن المسافة)

هناكَ سنحيا معاً مِن جديدْ
هناك ستنمو تقاسـيمُ وجهيْ، الذي أكلَتهُ الشظيةُ أثناءَ عاصفةٍ من حديدْ
هناك سيلتئمُ الجلدُ بعدَ الحريق،
ويختلفُ الفحمُ والمسكُ: أيُّهما يستحقُّ الشهيدْ؟
هنـاك سـتنبتُ حنجـرةٌ ذُبحتْ كمقـامِ الصَّبـا، لتواصلَ ضبطَ النشيدْ
هناك ستعلُو يدٌ فصلَتها عن الشمسِ بارودةٌ من صديدْ
هنالكَ..
في المستقَرِّ القريبِ - البعيدْ.

(عن الانتماء)

أنتمي
للشهيدِ، الذي لم يجدْ ما يليقُ بنا غيرَ هذا الدَّمِ
أنتمي
للمحبةِ، كي لا تفرِّقَ بيني وبينَ أخي موجةُ الندمِ
أنتمي
للتفاؤلِ، مِن دونهِ ما عرفتُ الطريقَ إلى حُلمي
.. هكذا قالَ حرٌّ تلثمَ بالعلَمِ.

(عن الطُولة)

أما آنَ أن تستعيدوا طفولتكُم يا صغارْ؟
ألم تلتئمْ في حناجركُم شفَراتُ التَّتارْ؟
ألم تلتقوا بالملائكِ والشهداء أخيراً.. وبعد انتظارْ؟
فما كلُّ هذا الصراخ الذي يقصفُ الكونَ، يخنقُ أنفاسَنا كالغبارْ؟
وماذا تركتم لأحلامنا بعدَكم.. غيرَ هذا الدمارْ؟
دعونا ننمْ ليلةً دون أن تظهروا في كوابيسنا..
يا الذين قضوا نحْبَنا تحت هذا الحصارْ.

(عن حمزة الخطيب، كذكرى)

وتأخذنا حيرةٌ بين خوفٍ عليهِ وحزنٍ لذاك الفتى
وتأخذنا دمعةٌ طفلةٌ حين نكتبُ
.. هذي الكتابةُ حتى متى؟
وتأخذنا دهشةٌ في حياتكَ، أو لا حياتك، هل دامَتا!
كبرتَ كثيراً، كثيراً
أيا سيِّدَ الشهداءِ الصغارِ..
أيا حَمزتا.

(عن القبير)

في المساءِ الأخيرْ
عندما يُشعل الشهداءُ ظلامَ القبورْ
تنزعُ الأرضُ أكفانها..
وتثورْ.

(عن الموت والوطن)

ومرَّت عليك رياحُ الزمنْ
وما زال موتكَ منبعثاً بين حربِ الفضاء وحربِ المُدنْ
وما زلت تزدادُ فينا حياةً وحريةً يا وطنْ
نحبكَ يا وطناً كيفما كنتَ..
أو كيفما لم تكنْ.

بشير العظمة 1910 - 1992

■ ياسر مرزوق

ولد بشير العظمة في دمشق عام 1910 لآل العظمة الأسرة العريقة في دمشق والتي يرجع نسبها "لإسماعيل باشا التركماني" الشهير بالعظمة والتي من رجالاتها "حسن بن موسى باشا العظمة" والشهيد "يوسف العظمة"، كان والده شيخاً من مشايخ الطريقة النقشبندية الصوفية المنتشرة في ذلك الوقت، كما كان جده لوالدته وهو ابن عم بعيد إماماً لمسجدٍ في حي الأروام الدمشقي.

تلقى العظمة علومه الأولى في كتّاب الشيخ السفرجلاني، ثم انتقل إلى مدرسة التجارة الخاصة فمدرسة الملك الظاهر حيث أتقن التركية، وفي عمر مبكر شهدَ العظمة دخول الملك فيّصل دمشق وبداية الحكم العربي، واستشهاد ابن عم العائلة وزير الحربية "يوسف العظمة"، وانتقل إلى مكتب عنبر المدرسة الثانوية التي كان لها الحظ في تخريج رجالات دمشق في النصف الأول من القرن الماضي وفي تلك الفترة أظهر العظمة نهماً شديداً للقراءة.

عام 1925 انتسب إلى المعهد الطبي، وهي التسمية التي كانت تطلق على كلية الطب في حينه، وخلال انتسابه للمعهد الطبي أصبح العظمة نجماً كروياً، ظهيراً في نادي بردى الدمشقي ولاعباً مع الفريق الوطني في دمشق وبيروت، وفي العام 1934 تخرج من جامعة دمشق وارتحل إلى باريس ليتابع دورةً في مكافحة مرض السل بترشيح من الصليب الأحمر في دمشق، ليَعود إلى دمشق ويمارس مهنة الطب في عيادته الخاصة والتي لازال كبار السن من الدمشقيين يتذكرون موقعها بالقرب من المشفى الوطني، وعام 1940 تزوج من "كرد علي" ابنة الأسرة الدمشقية العريقة واستمر حتى عام 1958 يمارس الطب متنقلاً بين باريس ودمشق، بعيداً عن أي طموح سياسي بل كان شاغله الأكبر هو مكافحة مرض السل الذي انتشر في دمشق عام 1937 بشكلٍ كبير، وتكللت جهوده عام 1950 بتأسيس "الجمعية السورية لمكافحة أمراض السل" كمشروع طبي اجتماعي وطني، وكانت حصيلة طوابع السل كافيةً للبدء ببناء مشفى في دمشق وحلب للمسلولين انتهى بناؤها أوائل الستينات.

تعاطف العظمة مع ثورة الضباط الأحرار في مصر، وأعجب بشخصية عبد الناصر وهو إعجاب صرّح به غير مرة في مذكراته، وكان من أشد المتحمسين للوحدة، وعن كتاب "جيل الهزيمة من الذاكرة" صفحة / 183/ ننقل: "تحمست للوحدة مع مصر وشاركت في تزوير الاستفتاء على الدستور وانتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة لتبلغ نسبة القائلين نعم 99، 98 ٪ بأن أدليت بصوتي في عدة صناديق، وكأن القائمين على الاستفتاء من الأجهزة عاجزون عن ملئها من دون عناء".

في مطلع شهر تشرين الأول عام 1958 تم استدعاء العظمة للقاهرة وتكليفه بوزارة الصحة المركزية للإقليمين، بوصفه شخصية عامة مستقلة بعيدة عن السياسيين السوريين الذين كان عبد الناصر يجهد لإقصائهم، وخلال إقامة العظمة في القاهرة اكتشف الفرق الشديد بين المجتمعين السوري والمصري والتي كان للأول السبق في اختبار حياةٍ ديمقراطية أتت الوحدة لتقضي عليها، وعن كتابه سابق الذكر صفحة / 186/ ننقل: لم تعرف سوريا في تاريخها الحديث الحاشية والملكية والبلاط والحجّاب. كان مسكن شكري القوتلي رئيس الجمهورية عند قيام الوحدة شقة بسيطة مستأجرة في حي الجسر الأبيض وحارسه شرطي يداوم نهاراً فقط.... سألني صحفي عن الفارق بين وزير في الإقليم الجنوبي وآخر في الشمالي أجبت بأني لم أكن وزيراً هناك، ومع ذلك فالفارق كما أراه، بأننا نطلق على الواقف أمام مكتب الوزير في بلدي اسم (الآذن) بينما اسمه (الحاجب) عندكم.

بعد عامين من الإقامة في القاهرة كوزير اسمي دون عمل أيقن العظمة فشل تجربة الوحدة والتي لم تكن بحسب ما صرح شخصياً إلا محاولةً لضم الإقليم الشمالي وإخضاعه بالقوة، تقدم باستقالته وعاد إلى دمشق في 20 آب عام 1960 ليترشح نقيباً للأطباء السوريين، ونجح فعلاً في الانتخابات النقابية، بالرغم من التهديدات والحملة الشرسة التي شنتها عليه أجهزة عبد الناصر وأزلامه في سوريا.

مع انقضاء الوحدة مع مصر، تشكلت حكومة برئاسة الدكتور "مأمون الكزبري" رفض العظمة الاشتراك فيها، ثم تمت الدعوة لانتخابات نيابية ولمجلس تأسيسي للإقرار دستور جديد للجمهورية العربية السورية فنجح العظمة عن دمشق وتشكلت وزارة برئاسة الدكتور "معروف الدواليبي" لم تعش طويلاً في مواجهة عبد الناصر وفلوله في سوريا، إذ قامت مجموعة من الضباط بالانقلاب واعتقال الرئيس القدسي ورئيس حكومته الدواليبي، وأعلن "جاسم علوان" قائد المنطقة الشمالية أن سوريا هي الإقليم الشمالي للجمهورية، وكاد يحدث اقتتال بين الوحدات العسكرية في الشمال والجنوب، فاتفق الضباط على عقد مؤتمر تفاهم في حمص، نتج عنه مقررات بضرورة الإفراج عن الوزراء والنواب المعتقلين، وتأليف وزارة مهادنة للناصرية.

في 16 نيسان عام 1962 تم الاتفاق على تكليف العظمة بتشكيل الوزارة، وبقي في الرئاسة لمدة خمسة أشهر في واحدة من أغرب الفترات في التاريخ السوري الحديث، فهذه الوزارة التوافقية تعرضت للهجوم من جميع الأطراف، العسكريون من جهة وجماعة الحوراني والبيطار والإخوان من جهة أخرى، وحرب إعلامية ناصرية شرسة توّجها عبد الناصر بوصفه لسوريا في أحد خطاباته بالإقليم الشمالي مما دعى العظمة بالتوجه بشكوى ضد مصر إلى مجلس الجامعة العربية

في 13أيلول من العام نفسه تم تشكيل وزارة برئاسة خالد بيك العظم وهو العملاق السياسي المتمرس والذي بدا للوهلة الأولى بأنه يملك الحل، وقد تم تعيين العظمة نائباً لرئيس مجلس الوزراء، إلا أن العظم تسلم الوزارة وهو في فترةٍ متقدمة من عمره السياسي والجسدي مما جعله بعيداً عن التحولات التي أصابت الساحة السياسية، مما دعى بالعظمة للاستقالة في كانون الأول من العام نفسه.

اعتزل العظمة السياسة التي لم تكن اختياره أو هاجسه في الحياة فدخل الوزارة وخرج منها دون أن تطبعه أو يطبعها بسمةٍ سياسية، عن الكاتب السوري "زهير شلق" ننقل "كان العظمة طبيباً ناجحاً ومتفوقاً وأستاذاً عالماً، ثم كان وزيراً يستوعب معنى المسؤولية ويرغب في تحملها والقيام بأعبائها، ثم أخيراً كان رئيساً للوزراء توخى النزاهة والاستقامة والحياد... يكفيه من النجاح أن أحداً لم يشك منه".

عكف العظمة على كتابة مذكراته والتي صدرت عام 1991 تحت عنوان "جيل الهزيمة من الذاكرة" وهذه المذكرات إضافة فريدة للمكتبة العربية كتبها العظمة بصدق وتصالح مع النشأة ومع الذات، وإن جنح أحياناً إلى جلد الذات بصراحةٍ تفوق أحياناً صراحة "جان جينيه" و"اندريه جيد"، والكتاب أدبي بامتياز لا يضارعه في صراحته من كتب السير والمذكرات العربية الحديثة سوى كتاب "خارج المكان" لإدوارد سعيد، كما صل أحياناً إلى مقام الفلسفة الروائية "دوستويفسكي".

توفي العظمة في دمشق عام 1992 ودفن فيها وعن زوجته وفي ذكرى وفاته ننقل: لن أرثيك وقد عشت حياتك عريضة عميقة وبقناعاتك كم أحببت أن تعيش.

انقلاب الثامن من آذار 1963 وإعلان حالة الطوارئ

■ بلال سلامة

في صباح يوم الثامن من آذار عام 1963 وبعد سنة واحدة وخمسة أشهر وعشرة أيام على انقلاب الانفصال، استيقظ سكان دمشق على صوت البلاغات الانقلابية تعلن عبر الإذاعة انقلابها على حكم الانفصال وتطالب بإعادة الوحدة بين سوريا ومصر. فأحاطت الدبابات بمبنى قيادة الأركان ومبنى الإذاعة وبالمنشآت الحكومية العسكرية، واعتقلت الفصائل المنقلبة من الجيش رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وأغلب الوزراء، واعترفت الفصائل في المحافظات بسلطة هذا الانقلاب، وأخذت الدول بالاعتراف بالحكومة الجديدة، وكان أول من اعترف بها العراق ومصر، كما عمل الاتحاد السوفيتي على إقناع المجتمع الدولي بهذا النظام الجديد.

قبل نهاية هذا النهار تألف مجلس سمي بـ "المجلس الوطني لقيادة الثورة" وكان برئاسة لؤي الأتاسي، وتألف من عشرة ضباط، وذلك بالتعاون ما بين حزب البعث العربي الاشتراكي (شارك حزب البعث العربي الاشتراكي في الحياة السياسية في سوريا منذ تأسيسه عام 1947، وأحرز المركز الثالث بعد حزب الشعب والكتلة الوطنية في الانتخابات النيابية لعامي 1954 و1961، وشارك في عدة حكومات خلال رئاسة السيد شكري القوتلي) وحزب الاتحاد الاشتراكي (الناصريين).

عمل البعثيون في المجلس الوطني لقيادة الثورة منذ أول يوم بالسيطرة على الحكم في سورية، وفيما يلي أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة وعملهم قبل الانقلاب وبعده ورتبتهم:

- لؤي الأتاسي كان عميداً معتقلاً وأصبح بعد الانقلاب رئيساً لمجلس القيادة وتم ترفيعه إلى رتبة فريق.
- العميد زياد الحريري كان قائداً للجبهة ثم أصبح بعد الانقلاب رئيس الأركان العامة ورفع إلى رتبة لواء.
- العميد محمد الصوفي وكان قائداً للواء حمص وأصبح وزيراً للدفاع، كان ناصري الانتماء ورفع إلى رتبة فريق.
- العميد راشد قطيني وكان رئيساً للاستخبارات ثم أصبح نائب القائد العام، ناصري الانتماء ورفع إلى رتبة لواء.
- العميد غسان حداد وكان قائد لواء بدمشق، بعثي الانتماء، ورفع إلى رتبة لواء واستلم إدارة شؤون الضباط.
- عقيد مسرّح محمد عمران وكان موظفاً مدنياً، بعثي الانتماء، ورفع إلى رتبة لواء.
- مقدم مسرّح صلاح جديد، بعثي الانتماء، ورفع إلى رتبة لواء وكان معاون قائد لشؤون الضباط.
- العقيد فهد الشاعر، كان قائد لواء في الجبهة، ورفع إلى رتبة لواء.
- الرائد فواز محارب، ناصري الانتماء ورفع إلى رتبة عقيد.
- النقيب موسى الزعبي، بعثي الانتماء، ورفع إلى رتبة مقدم.

تفرد حزب البعث بالسلطة، رغم أنه لم يكن مرخصاً نظراً لأنه في بداية عهد الوحدة بين سورية ومصر وقيام دولة الجمهورية العربية المتحدة قام بحل نفسه. إلا أنه بعد الانقلاب فرض نفسه قائداً رغم أن هذا خارج إطار القانون. ولتمتعهم بالقوة، اغتصبوا السلطة ولم يكن ممكناً مقاضاتهم أو محاكمتهم، فقاموا بتصفية خصومهم من الناصريين، واعتقلوا عدداً من السياسيين والعسكريين الغير موالين لهم.

لم يضيع "صلاح جديد" وقته سدى، فمنذ اليوم الأول (8 آذار) قام بتسريح العديد من الضباط العاملين في الجيش من غير البعثيين (من كافة الانتماءات الحزبية أو الحياديين)، كما قام باستدعاء أكثر من مائتي ضابط احتياط من البعثيين من وظائفهم المدنية إلى الجيش، وكان أهمهم الرائد الجوي المسرح "حافظ الأسد".

كما قام صلاح جديد بنقل بعض الضباط الناصريين إلى السلك الدبلوماسي أو الوظائف المدنية وإحالة آخرين منهم إلى التقاعد وذلك في غياب بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة في مصر من تاريخ 3 نيسان إلى 17 نيسان من أجل مباحثات الوحدة مع مصر والعراق، مما أدى إلى استياء القيادات الناصرية في مجلس قيادة الثورة وتقديمها استقالاتها ورفضها لأي نقاش.

وبعد عودة الحريري إلى دمشق من زيارته للجزائر في 4 تموز قام مجلس قيادة الثورة المؤلف من البعثيين فقط (بعد استقالة الناصريين) بإصدار قرار بتعيين اللواء زياد الحريري القائد الفعلي لانقلاب 8 آذار سفيراً لسوريا في أوروبا على أن يكون مقره في باريس. ثم أطيح برئيس الأركان اللواء راشد قطيني (ناصري)، وأقصي اللواء محمد الصوفي (ناصري)، ثم قام البعثيون بتصفية بقية شركائهم من الناصريين، كما استقال الفريق لؤي الأتاسي بعد الانقلاب الفاشل في 18 تموز 1963 احتجاجاً على الإعدامات التي طالت مشاركين في المحاولة الانقلابية التي قادها العقيد المسرح جاسم علوان، بعد أربعة أشهر من انقلاب 8 آذار، وأعدم سبعة وعشرين شخصاً، منهم العقيد هشام شبيب والنقيب ممدوح رشيد والمساعد بحري كلش. وبعد هذه المحاولة الانقلابية واستقالة لؤي الأتاسي تسلم الحكم اللواء أمين الحافظ، والذي كان وزيراً للداخلية ونائباً للحاكم العرفي، ورقّي إلى رتبة الفريق وسُمّي رئيساً للدولة.

ظهر تياران بين صفوف البعثيين، الأول هو التيار اليميني وأغلب أعضائه من البعثيين المدنيين من أعضاء القيادة القومية، مثل رئيس الدولة أمين الحافظ ورئيس الوزراء صلاح الدين البيطار والأمين العام للحزب ميشيل عفلق، أما التيار الآخر فهو التيار اليساري وكانت تسمى المجموعة العسكرية، وعرفوا لاحقاً باسم القيادة القطرية، ومنهم رئيس الأركان اللواء صلاح جديد والرائد سليم حاطوم والعقيد عبد الكريم الجندي.

مع استلام المجلس للسلطة أعلن حالة الطوارئ في البلاد بموجب الأمر العسكري رقم 2 تاريخ 8 آذار 1963 والذي ينص على: إن المجلس الوطني لقيادة الثورة يقرر ما يلي: المادة 1 "تعلن حالة الطوارئ في جميع أنحاء الجمهورية العربية السورية ابتداءً من 8 آذار 1963 وحتى إشعار آخر" دمشق في 8 آذار 1963 المجلس الوطني لقيادة الثورة.

علماً أن حالة الطوارئ هي حالة استثنائية يجب أن تكون محددة في الزمان والمكان، تقوم الحكومة بإعلانه بسبب ظروف طارئة تهدد أمن البلاد في شروط محددة ولحين زوال الخطر فقط. من أجل الحد من التعسف الذي يمكن أن تمارسه السلطات وذلك تحت طائلة البطلان وفقدان المشروعية، والخضوع للمساءلة القانونية والقضائية، لأنها حالة استثنائية وتشكل تهديداً كبيراً لحرية المواطن وكرامته.

كان الغرض من إعلان حالة الطوارئ هذه حماية الانقلابين وتمكينهم من السيطرة على البلاد، لا لسبب آخر. كان من نتيجة إعلان حالة الطوارئ جنوح السلطة في إصدارها للقوانين التي تتنافى مع الدستور ومع الاتفاقيات الدولية والقوانين والمعاهدات الخاصة بحقوق الإنسان وقيامها جزافاً بمراقبة الاتصالات الهاتفية والبريدية، وكذلك منعها للمحكومين بعد الإفراج عنهم من الحصول على جوازات السفر، وإلغاء حصانة الملكية الفردية ومصادرة الملكيات بحجة الأمن. علماً أن إعلان حالة الطوارئ هذه ليست شرعية لأنها صدرت عن مجلس قيادة الثورة وليس عن طريق مجلس الوزراء كما ينص الدستور السوري، كما أن المحاكم العسكرية والميدانية المشكلة وفقاً لحالة الطوارئ قامت بمحاكمة المدنيين، علماً أن تقديرات اختفاء المواطنين هي نحو 17 ألف مواطن سوري، عدا عن

صلاح جديد

تعذيب الآلاف، وخصوصاً بعد صدور المرسوم التشريعي رقم 14 لعام 1968 والذي تنص المادة 16 منه على أنه لا تجوز ملاحقة أي من العاملين في الإدارة عن الجرائم التي يرتكبونها أثناء تنفيذ المهمات المحددة الموكولة إليهم أو في معرض قيامهم بها إلا بموجب أمر ملاحقة يصدر عن المدير.

مع اندلاع الثورة في سوريا في آذار 2011، ونتيجة لمطالبة الشعب السوري بإلغاء حالة الطوارئ في البلاد، أعلنت المستشارة السياسية والإعلامية للرئيس السوري بثينة شعبان في نيسان 2011 رفع قانون الطوارئ.

حكم البعث دون انتخابات ولم يحقق خلال حكمه الوحدة مع مصر والتي كانت السبب الرئيسي الذي دفعه للانقلاب على الحكومة، رغم توقيعه عدة بيانات مع العراق ومصر بهذا الخصوص، لكنها فشلت بالمجمل. وفي 23 شباط عام 1966 حدث انقلاب ثاني داخل قيادة الحزب نفسه بعد أن شبت الخلافات بين صفوف البعثيين وزاد لهيبها بسبب تضارب المصالح الشخصية، أدى الانقلاب إلى إقصاء عفلق وأمين الحافظ رئيس الجمهورية المعيّن وتم تعيين صلاح جديد بدلاً منه. خسرت سوريا الجولان في 1967 مما أدى إلى زيادة الانشقاقات والخلافات الداخلية في الحزب، فجرى انقلاب ثالث بقيادة وزير الدفاع حافظ الأسد عام 1970، وعيّن الأسد أحمد الحسن الخطيب رئيساً الفترة انتقالية، ثم أجرى الأسد استفتاءً على شخصه وأصبح بموجبه حافظ الأسد رئيساً للجمهورية العربية السورية اعتباراً من 1971.

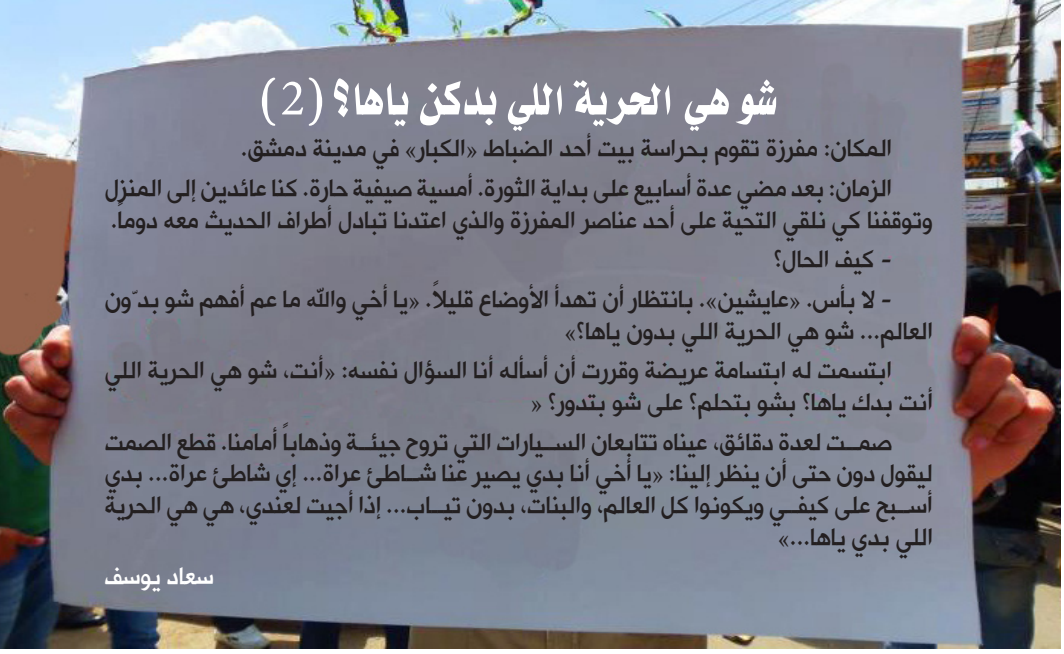

شو هي الحرية اللي بدكن ياها؟ (2)

المكان: مفرزة تقوم بحراسة بيت أحد الضباط «الكبار» في مدينة دمشق.

الزمان: بعد مضي عدة أسابيع على بداية الثورة. أمسية صيفية حارة. كنا عائدين إلى المنزل وتوقفنا كي نلقي التحية على أحد عناصر المفرزة والذي اعتدنا تبادل أطراف الحديث معه دوما.

- كيف الحال؟

- لا بأس. «عايشين». بانتظار أن تهدأ الأوضاع قليلاً. «يا أخي والله ما عم أفهم شو بدّون العالم... شو هي الحرية اللي بدون ياها؟»

ابتسمت له ابتسامة عريضة وقررت أن أسأله أنا السؤال نفسه: «أنت، شو هي الحرية اللي أنت بدك ياها؟ بشو بتحلم؟ على شو بتدور؟ »

صمت لعدة دقائق، عيناه تتابعان السيارات التي تروح جيئة وذهاباً أمامنا. قطع الصمت ليقول دون حتى أن ينظر إلينا: «يا أخي أنا بدي يصير عنا شاطئ عراة... إي شاطئ عراة... بدي أسبح على كيفي ويكونوا كل العالم، والبنات، بدون تياب... إذا أجيت لعندي، هي هي الحرية اللي بدي ياها...»

سعاد يوسف

هالة حداد

هل حقاً كنت بحاجة لكل هذا الدم لتقتنعي بأننا نقدسك.. آلاف الشباب قضت على محرابك فداءاً لعيونك.. مئات الأطفال استلقو بثيابهم المعرقة على ترابك.. سوريا أيتها الحبيبة المغرورة.. المستبدة.. ألم تكتفي، ألم تقنعي، أنا نؤمن بك.. و نقسم أننا نفديكي بأرواحنا.. سوريا احميّنا و لو قليلا... من أنفسنا و من البند السابع.

ريم فضيل

تنويه: إذا تم اعتقالي ثم تم اغتصابي «مع ضرورة التذكير أن ليس كل المعتقلات يتعرضن للاغتصاب كما يتم الترويج»:
1 - لن أتزوج بين ليلة وضحاها.. إذ سأكون نفسياً غير جاهزة للزواج فكيف بدنيا ؟
2 - لا أريد الزواج إلا من رجل أحبه، أختاره، فأتزوجه.. في الحالات الطبيعية لن أتزوج بشكل تقليدي، فكيف وأنا مغتصبة وقد اخترت الاغتصاب ولا المذلة والثورة حتى الحرية، لشعبي وأرضي، فهل أقبل بمن يتصدق علي بعقد السترة وقد أسقطت غشاء الخوف الأسدي بملء إرادتي بوصفي إنسانا وحسب؟
3 - أفتخر بوصف «مغتصبة الوطن « فهو لا يقل عن صفة « شهيد الوطن» ولا أريد أن يسلبني أحدهم هذا الشرف بدواعي ستر الشرف المهدور.
4 - لكل شباب وطني الثائر لتنال الحرية لا تتاجر بقضيتي و أعزل شرفك عن أعضائي التناسلية وتذكر:
أن صوتي كان ثورة وصمتك كان عورة

رولا الركبي

لكل سوري مؤمن بالثورة الحق بدعم ثورته بطريقته وحسب وسعه. قبل أن نطالب بوحدة المعارضة لنكن مع وحدة الشعب السوري في الداخل والخارج ولنوقف هذه المهاترة السخيفة بين أهل الداخل وأهل الخارج. الجميع سوريون والجميع عانى من القمع، من في الداخل يراوغ الموت ومن في الخارج يراوغ الحياة والهدف واحد: سوريا حرة كريمة !

GORGON SUCCUBI BEER

تصريحكم أنها حرب أهلية لا يجعل من الأمر حقيقة.. هي ثورة شعبية سلمية محقة، لن تحوّلوا ما صنعناه إلى خراب و دمار لمجرّد أن نجادها يؤذي مصالحكم. ثورتنا مستمرة حتى إسقاط النظام و الوصول إلى الحرية و العدالة..

إسلام أبو شكير

السوريّ الجميل...
وما قتلوه وما صلبوه ولكنْ شُبِّهَ لهم...

باسل وطفة

السّيد أيمن الظواهري، شو قصتك يا رجل؟؟ ما بتفجّر الا يوم الجمعة وناوي تفجّر جوامع كمان؟؟؟؟ هزلت والله بعد ما رحل الشيخ أسامة... !! هادا انقلاب ع المنطلقات النظرية لتنظيم القاعدة..

لينا فارس

هناك نوعان من الذين يحاربون الطائفية..
الأول يحاربها من منطق إنساني حضاري، يضع الإنسان كقيمة عليا و يؤمن بمبدأ المواطنة.
الثاني يحارب الطائفية لأنها خطر على طائفته مع الحفاظ على طائفيته و عنصريته في نفس الوقت...
وهؤلاء باتت جميع مداخلاتهم و تعليقاتهم التي تشجب الطائفية مقززة و تنضح بالكراهية و العنصرية و الفوقية المريضة و الخوف من المستقبل الذين صنعوه بأيديهم و كراهيتهم.

يوسف الحكيم

سوريا اليوم فعلياً تحت الانتداب الروسي....

POET ARAM

أنا مستعد لأتزوج مغتصبة، لا لكي «أستر» عليها بل لكي أستر عاري.

أنمار العمر

الأب باولو هو أبانا جميعاً.. أب لكل السوريين

راشد عيسى

المعذّبون دائماً تجدهم في الشتاء يلعنون الحياة وقرف الشتاء وينتظرون بشوق فصل الصيف الذي سينقذهم من عناء البحث عن المازوت وخلافه، وفي الصيف تجدهم يلعنون الحياة وقرف الصيف وينتظرون أن يأتي الشتاء بحل ما.. هذه الأيام ما زال هؤلاء يلعنون، وينتظرون حلاً واحداً سحرياً لمعضلتي الصيف والشتاء، وسواهما من مشكلات، حلاً واحداً تعرقوبه جميعاً، حينها، فليأت الصيف كيفما شاء، وليركب الشتاء أعلى خيله.

أنس كاميكازي

الصامت يحافظ على صمته رغم كل شيء و عندما يرى ما لا يعجبه من ثورتنا يتخلص من صمته و يُسمعنا صوته النشاز..

هالة العبد الله

الأمس، في قرية صغيرة في الجنوب السوري صورت منذ سنين طويلة في كنيسة دافئة وجميلة وتمارس طقوسها الدينية بشكل طبيعي وعادي ويعود عمر هذه الكنيسة إلى القرن الثاني الميلادي نعم الثاني.. لم يؤذها السكان ولم يعتبروا وجودها غريباً ولم يقم أي شخص بأي ممارسة عنفية ضدها.. الكنائس التي ضربت وفجرت في حماة في ال 82 كانت ضحية لإجرام النظام كما كنائس حمص اليوم.. الروس والفاتيكان يخافون على المسيحيين وكذلك بعض المسيحيين في البلاد.. إن العنف الوحيد الذي تم ممارسته حتى يومنا هذا على المسيحيين في سوريا هو بصفتهم مواطنين سوريين وفقط وفقط لا غير و تحديدا من قبل النظام المجرم.

شام داود

منذ عدة أيام وأنا أتجنب هذه الشاشة الزرقاء.... كلما أعود أرى الأصدقاء يتحدثون عن الطائفية..... عن سوريتنا.... عن الشعب الواحد...
لكنني اضحك وأفكر بالمعتقلين.... أتساءل إن كانوا يفرزونهم طائفيا أيضا وراء القضبان.... كل بحسب معتقده... وماذا عن من آمن بالإنسان... أيضعونه في معتقل لوحده أيضاً؟ ومتعبدو الحرية والكرامة؟ ألهم معاملة خاصة لم أنهم يعانون أكثر أم أقل من متعبدي الآلهة؟
أتساءل في أي فئة يصنفك النظام يا يحيى؟ أما تزال بخير؟ أنت والأصدقاء.. الكثير الكثير من السوريين هناك...
سوريا معتقلة.. والثورة مستمرة.. سنعيش

ندى كرامي

ليسقط التشاؤوم والتخاذل والخوف وتسقط الكآبة ويسقط الحقد والانتقام ويسقط الطغاة ويسقط الموت والقتل والقتلة ويسقط الساقطون والمجرمون والانتهازيون. النصر للحب للحياة للأمل للحرية، النصر، النصر للسوريين ولسوريا.

فايز سارة

أول العلاجات في الحياة وآخرها الحب. أن تحب قضية، أو بلد أو إنسان، أو أن تحب امرأة أو أن تحب المرأة رجلا، وهو أسهل أنواع الحب. بالحب بتغيير ما حولنا... علاجنا وسعادتنا أننا نحب سوريا والسوريين، ونحب الحرية والكرامة للناس أجمعين.

مرام المصري

أتسمعون غنائي هذا الصباح لكم؟ أتسمعون رجائي ؟.
سورية تحتاج لحبكم لتغسل الآلام والدماء لنبلكم كي لا نقع في وحل لثأر.

ديمة مسعود

كتبت مرة: يعطش ياسمين دمشق فيرويه فراتك دير الزور.. أشعر بحاجة لتكرارها اليوم

محمود محمود

أنا ما عندي أصدقاء سنه أو دروز أو شيعة أو إسماعيلية أو مسيحيين أو عبدة شيطان!.. ما عندي غير أصدقاء سوريين.

رشا عمران

باسل. شاب من قدسيا تعرفت عليه أول الثورة كان يشتغل سائق تكسي بمشروع. دمر.. باسل كان عن طريق احد معارفه بالجوازات يسأل عن أسماء الشباب الناشطين المطلوبين والموجودة أسماؤهم على مراكز الحدود وبالمطار... كتار من الشباب نجوا من الاعتقال بسبب باسل... باسل من المجهولين بالثورة... لا كان إعلامي ولا مثقف ولا سياسي... كان سوري ابن بلد... كان يضل يقلي: نحن السوريين شعب واحد قد ما حاولوا يفرقونا رح نرجع لبعض... كان يحكي عن سوريا الجاية بفطرة ابن البلد الأصيل الحقيقي النبيل.... اليوم عرفت انو باسل استشهد من يومين.. متل كتار عم يموتوا وما حدا عم يسمع فيهن.. الله. يرحمك يا باسل... الله يرحمك

هيا الحاج أحمد

رفقاً بدمشق فقد أتعبتها صرخات أختها حمص...

علي ديوب

على إيقاع حمص، تموت سوريا أو تحيا.
خوف يرميني في الغم
لأول مرة أشعر هول اليأس
كما لو كنت وحيدا في قفص
حمص وحيدة..!
إن ماتت حمص، فلن تكون هنالك سورية
أتخيل أن الثورات القادمة ستحمل فوق التغيير عقابا للحكام على الصمت

محي الدين عيسو

محمد دغمش أنت بطل من أبطال الثورة السورية التي أنتجت أبطالها من رحم العشق إلى معانقة الحرية، وكنت وما زلت الصحفي والإعلامي الذي يفتخر بك ميثاق العمل الصحفي... أحييك على شجاعتك ونقلك لواقع مدينة تليسة على أصوات القذائف ورائحة الموت في كل مكان.

برادوست آزيزي

من يحفر حفرة لشعبه، كمن يحفر قبرا لنفسه.

ريم بنا

في حمص.. لا تعود جُثث الأطفال إلى بيوتهم.. لا تُمهل المجازر ذويهم لدفنهم.. فتحضنهم السماء
في حمص.. فلسطين تنزف فوق جراحها جراحك..
في حمص.. صارت الجنائن مقابر للشُهداء.. تُبرعم فيها شقائق النعمان فوق جفاف الياسمين

تيم راج

لسان حال الصامتين المتخوفين بأنهم:
يحاسبون الثورة على المستقبل الذي لم يحدث..
ويسامحون النظام على جرائم الماضي.... الموثقة !

عـــولمة الرعـــب
أميركا تقود العالم إلى نهاية التاريخ

■ ياسر مرزوق

كان القرن العشرين من عمر البشرية قرناً أمريكياً مصداقاً لمقولة "والتر ليبمان" أهم كاتب ومحلل سياسي عرفته الولايات المتحدة الأمريكية، والكل يسأل نفسه اليوم هل سيكون القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً أيضاً، ومجمل الشواهد على الساحة الدولية الآن تقول بذلك، لكن عاصفة التقدم الإنساني وقوة اندفاعها الهائلة لا تسمح لأحد بالتّنبؤ بما يحمله المستقبل لكننا نقر بأن الإمبراطورية الأمريكية شبه يقين في الثلث الأول من القرن الحادي والعشرين، هذه الإمبراطورية التي باتت تمارس عنفاً اقتصادياً وعسكرياً ومعنوياً على العديد من شعوب الأرض، وهذه الشعوب لن تتحمل طويلاً بل سترد على العنف بالعنف، مما يستتبع خطراً شاملاً على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى كل شعوب الأرض.

وكتابنا اليوم "عولمة الرعب أميركا تقود العالم إلى نهاية التاريخ" من الممكن تصنيفه تحت بند النبوءات فلو قيّض لكتاب "عولمة الرعب" الصدور قبيل 11 أيلول، كما كان مقرراً، لاعتُبر في نظر الكثيرين أشبه بالنبوءة؛ ليس لأن مؤلفه يوسف الأشقر كان يتوقع هذا الحادث المروِّع تحديداً، بل لأن كتابه كان يهدف إلى التحذير من كارثة أمنية ستحل بالمجتمع الأميركي قبل نهاية ولاية الرئيس بوش. لكن الحدث الأميركي سبقه، كما يقول يوسف الأشقر في مقدمة كتابه. أما وقد تأكدت هذه المخاوف فقد لجأ الكاتب إلى إعادة صوغ بعض فصول الكتاب بغية التركيز على المرحلة الجديدة مرحلة البحث في الخيارات الأمنية والحضارية المقبلة، وكيفية التصدي للخطر الذي يواجه الإنسانية برمّتها، للمرة الأولى في تاريخها.

ويوسف الأشقر باحثٌ في التاريخ الاجتماعي والثقافي، يتميز بالقدرة على رصد التحولات السياسية الكبرى في لبنان والمنطقة واستشرافها واقتراح حلول لها، بدءاً بدعوته إلى قيام "مجتمع الحرب" في دول المواجهة شرطاً لمواجهة المجتمع الحربي الإسرائيلي "1974"، وصولاً إلى كتابه عن السلم الإسرائيلي والحرب اللبنانية "1990"، إلى كتاباته في مسألة "الأمن في المتوسط"، إلى مشروعه عام "1992" حول "المجتمع المدني" في لبنان. ويأتي كتابه عولمة الرعب ليتجاوز في موضوعه وأهميته ما سبقه، أي يتعدى الأطر والمشكلات المحلية والإقليمية، ليطرح الصوت بأننا "قد نكون في هذا القرن نواجه مفترقاً حقيقياً في حياة هذا الكوكب، لاستمراره أو زواله"، على ما يورد في مقدمة كتابه.. و بصفه الباحث "سركيس أبو زيد" بأنه يحلل الوقائع والأحداث فهو لا ينفعل فيها بل يفعل عقله بها من خلال رؤية تاريخية حضارية مشدودة إلى قواعد المنهج القومي الاجتماعي بعيداً عن التكرار الببغائي أو الاكتفاء بشرح النصوص والمفردات.. وأيضاً فإنه لا يكتفي بتوصيف الواقع بل ينتقد صورته وخطابه والنظرة إليه والأوهام المواكبة له بهدف نقضه وتغييره ومقاومة سلبياته والعمل من أجل نهضة متجددة.

يبدأ الكاتب بعرض لفكرة العولمة هل هي حركة موضوعيَّة وبالتالي حتمية لا خيار لنا فيها، أم هي سياسات ذاتية من الممكن تجنبها والعمل كما لو لم تكن موجودة، بل مقاومتها للحفاظ على استقلالنا وحريتنا وصلاح سياساتنا، هل تعني الهيمنة العالمية، أو هيمنة بعض الدول على بعض....

يجيب كاتبنا على التساؤلات التي طرحها فالعولمة برأيه عولمتان: الأولى واقع دُكمي تتمثل في "ضغط الزمان والمكان" بفضل التقدم العلمي، وتحتمل خيارات لامتناهية، ولا يمكن الرجوع عنها؛ والثانية مشروع نظام عالمي جديد، سياسي وعسكري واقتصادي وثقافي، تقوده الإمبريالية-النيوليبرالية "الليبرالية الجديدة" المتمثلة بثالوث: الولايات المتحدة الأميركية، وقوة السلطات العظمى المالية، وإسرائيل. وهذه العولمة، تحديداً، هي مصدر الخطر على الإنسانية اليوم، وهي التي يجب مواجهتها قبل فوات الأوان.

وأخطر ما في هذه العولمة الجديدة أنها تأتي في لحظة تمتلك فيها القوى العظمى، أي الولايات المتحدة، إمكانا لا متناهيا على التدمير العسكري المادي وتدمير اقتصاديات الدول والشعوب خلال أيام وأسابيع معدودات. يضاف إلى ذلك الخطر إمكان قيام شخص، أو عدة أشخاص، بعمليات إرهابية في الولايات المتحدة الأميركية تُستخدَم فيها أسلحة الدمار الشامل وتصيب عشرات أو مئات الألوف من الأميركيين الأبرياء. كما يمكن أن تحصل العملية هذه في إحدى المدن الإسرائيلية وقد تتطور إلى محرقة كبرى في الشرق الأوسط، وتنتشر منه في العالم. فالشراكة الأميركية-الإسرائيلية في هذا النظام العالمي الجديد تضاعف من أخطار هذه العولمة على المنطقة العربية والدول الإسلامية، متجاوزة حتى المصالح الحيوية للشعب الأميركي نفسه، خاصة في الحرب الأميركية-الإسرائيلية المعلنة على الإرهاب التي تدور رحاها حتى الآن في أفغانستان وفلسطين والعراق.

ما نراه العديد من دول العالم إنما هو النسخة الأميركية لعقيدة مكافحة الإرهاب الإسرائيلي. فالولايات المتحدة اقتبست المشروع الإسرائيلي حرفياً ونقلته من المستوى الإقليمي إلى المستوى العالمي، وخيَّرت دول العالم بين معسكرين: معسكر الإرهاب ومعسكر مكافحة الإرهاب، تماماً كما يفعل شارون في الأراضي الفلسطينية المحتلة. لكن هل ضمنت سياسة شارون أمن إسرائيل لكي يضمن بوش أمن الشعب الأميركي باتباعه السياسة نفسها؟ "لا - يقول الكاتب - بل إن العالم سيكون أقل أمناً منه في أي وقت مضى، وإن أميركا لن تكون إلا جزءاً من هذا العالم المهدَّد في وجوده، إن لم نقل الجزء الأول المهدد".

كما يتصدى كاتبنا للرد على مفهومي "الأمن" و"صدام الحضارات" اللذين يشكلان العمود الفقري الفكري للنظام العالمي الجديد. ويستعرض فيه المؤلف كيف أن الأمن الفيزيائي كان هاجس الإنسان الأول والحافز الثقافي الأول في التاريخ؛ وكيف أن هذا الحافز نفسه يعود اليوم بقوة إلى الواجهة نتيجة الطلاق الحاصل بين الأمن والثقافة والأخلاق في ثقافة الإمبريالية الأميركية الجديدة؛ وكيف أن هذا الافتراق يعود إلى قراءة خاطئة للتاريخ الذي كاد يُختزَل إلى تاريخ الحروب والقوى السياسية والعسكرية المتصادمة، بحيث بدا الأمن وليد الحرب والقوة العسكرية، بينما الأمن الحقيقي لم تؤمنه الجيوش ولا الأسلحة على اختلافها، بل العلاقات الإيجابية بين الناس والشعوب. إن هذه العلاقات هي التي نشأ بفضلها الوجدان الاجتماعي والوجدان الإنساني العام، وقد شكلت أهم الإنجازات الأمنية في التاريخ. وإن الأسلحة المادية، سواء كانت حجرية أو نووية، إنما هي وسائل تنضوي في النظام الأمني الأم وتكتسب منه جدواها ومعناها. والفرق بين أمن العلاقات وأمن الجيوش أن الأولى تفترض وجود "الآخر" شريكاً، بينما تراه الثانية غريباً ينبغي إخضاعه بالقوة أو طرده. وهذا المفهوم الأخير هو مفهوم الإمبراطورية الرومانية، وتعتمده القوة العظمى الأميركية في حربها ضد الإرهاب "البرابرة" أو بين قوى الخير وقوى الشر في العالم.

هذه الرؤية الخاطئة للأمن، وهذا الفكر المنغلق على الآخر، شكلا الأرضية الفكرية لنظرة صدام الحضارات، بل إن الصراعات أو الحروب هي النتيجة الحتمية لتلك الرؤية. وأخطر ما في هذه النظرية أنها جعلت من المسيحية دينين متصادمين: شرقي أرثوذكسي وغربي كاثوليكي-بروتستانتي-يهودي، وربطت المسيحية الغربية باليهودية لضمان مستقبل الصدامات المسيحية - المسيحية بالرعاية اليهودية. أما الإسلام فقالوا بحربه على الجميع، وبحرب الجميع عليه. لكن الحروب الدينية، متى اندلعت، لا تبقى متقيِّدة بحدود مصدرها، بل تصبح مولدة لغرائز ونزعات لا يمكن تصورها سلفاً، بل تضيق بمن حولها، فتفكك عالمها الصغير إلى مجموعة "آخرين" تصادمهم على أعنف مما تصادم "الآخر" البعيد.

أختم بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تكون صادقة في حربها على الإرهاب إن لم تجمع العالم حولها عن طريق إيجاد آلية لإشاعة العدل والمساواة، ونصرة المظلوم، والضرب على يد المارقين ومثيري المشكلات من أمثال الكيان الصهيوني الاستعماري. ولكن الولايات المتحدة غير جادة في هذا الأمر لأن بعض ساستها يرون أن مثل هذه الظروف صالحة لإنجاز أمور لا يمكن إنجازها في جو صاف وفي بيئة نظيفة.

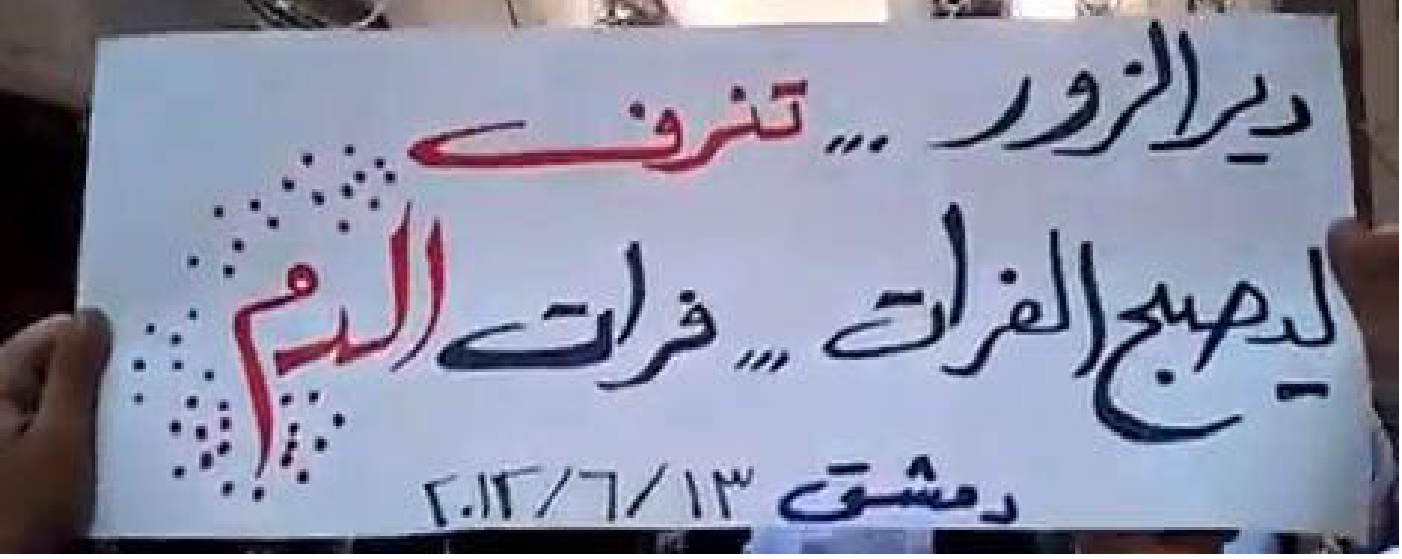

أجساد سوريا العميقة وأرواح سوريا الظاهرة

■ ياسين الحاج صالح

طوال أكثر من جيل كان للسوري فم يأكل وليس له فم يحكي، على ما يقول مثل شعبي سوري عن مثال الكنّة الصالحة في عين حماتها. في «مملكة الصمت» السورية كان المواطن الصالح كنّةً النظام، يأكل ويسكت، فإن نطق قال كلاما مكرورا، خاويا من المعنى والحس الشخصي.

مثال المواطن الصالح هو معلّم المدرسة في قرية «الماشي»، على نحو ما صوّره المرحوم عمر أميرالاي في فيلم «طوفان في دولة البعث». المعلم مجرد محل سلبي للكلام الصحيح الذي ينتجه النظام، ويعممه عبر «الحزب» و«المنظمات الشعبية» ووسائل الإعلام على «الإخوة المواطنين». هذا الكلام الواحد يلغي شخصية متكلمه، يحجُبه ويحجِّبه.

الكلام الواحد لم يجرّد السوريين من أرواحهم الخاصة، بل جرّدهم أولا من أجسادهم الكثيرة المختلفة. «الروح» شخصية الجسد، والسوري المتوسط كان كائنا بلا روح لأنه بلا جسد شخصي. لا وجه له، أو هو بوجه مقلوب، منـدار إلى الداخل إن جاز التعبير، كأنما يتوارى داخل نفسه. عيناه منكسرتان، لا ضوء فيهما، ولا تنظران إلى الغير مباشرة. صوته خافت، لا مثلوم الحد. جسده ككل منكمش على نفسه، كأنما يريد إشغال أقل حيز ممكن من المكان. وهو منسحب من مساحات الآخرين، أيّ كل ما هو خارج النطاق الخصوصي.

الثورة أطاحت صمت المملكة وهتكت حجابها. ما ظهر من وراء حجاب الكلام الواحد هو الأجساد الكثيرة. أجساد الرجال بخاصة لأن حجابهم سياسي. أما أجساد النساء فحجابها ديني أكثر، وظهورها لذلك أقل. لكنها شقّت دربها مع ذلك إلى فضاء عام، صار محررا أكثر بفضل هذه الاختراقات الجسورة. لم يسبق أن خرجت نساء إلى الفضاء السوري العام، وشاركن في اعتراض عام عالي الخطورة، أكثر مما خلال الثورة السورية.

في الفضاءات المحررة، تتجمع الأجساد وتعلو الأصوات وتنفلت الانفعالات من قيودها. في الوقت نفسه يجري تدنيس المقدسات السياسية للنظام بابتهاج احتفالي. هذه رمزت على الدوام الى مصادرة أجساد السوريين وترويضها. لذلك يقترن استرجاع الأجساد بتحطيم أوثان النظام، الصور والتماثيل، وهي «فزاعات» من حيث الوظيفة، تدل على الحضور والرقابة الكليتين للنظام. وحيث لا توجد أيقونات النظام توجّه اللعنات الى أسماء أربابه. الثورة نهاية دولة ونهاية دينها أيضا.

ثائرين اليوم، يستخدم السوريون أجسادهم بوفرة في التظاهرات، يطلقون الأصوات الهاتفة أو المهللة العالية، وحركات أيديهم تتحرك متباعدة عن الأجساد، معبّرة عن العزم أو ساعية للتشابك مع أيد أخرى، كأنما تريد إشغال أوسع مساحة ممكنة من المكان. الوجوه جسورة والعيون الشجاعة المستقيمة النظرات. ينتهكون حظر الكلام، وحظر التجمع، وحظر الانفعال الجمعي في الفضاء العام. ويحصل لبعضهم أن ينتهكوا احتكار النظام للسلاح أيضا، فيكسرون احتكاره للعضلات وللعنف الجسدي.

هذا ما لا يكف عن القيام به طوال 14 شهرا السكان غير المرئيين لسوريا العميقة أو المحجوبة.

من سوريا العميقة هذه سقط ألوف الضحايا وعشرات ألوف المعتقلين الآن وعشرات ألوف من تعرضوا مرة ومرات للاعتقال والتعذيب والسجن. هذا الجمهور هو الذي اكتشفه العالم، واكتشفه السوريون قبل غيرهم، وصاروا يعرفون أسماء مدنه وبلداته وأحيائه وقراه. وهو بالطبع الذي كان أسدل على وجهه حجاب سياسي سميك، نسجه النظام بأجهزته الأمنية والحزبية والبيروقراطية، ومعه حجاب ثقافي لا يقل سماكة، تبرّع به وكلاء النظام الإيديولوجيون، أو المثقفون العضويون لكتلته التاريخية.

الواقع أن توظيف الجسد هو العلامة الفارقة الكبرى لهذا النمط «الشعبي» من المشاركة في الثورة والانفعال بها. ثمة نمط آخر لا جسدي، يميز عموم المشتغلين بالشؤون العامة السياسية والثقافية. يتعلق الأمر هنا بمثقفين ومتعلمين من الشرائح الدنيا والوسطى من الطبقة الوسطى، بكتّاب وفنانين وناشطين سياسيين، يجدون في الكتابة في الصحف أو في المواقع الاجتماعية أو في الظهور في وسائل الإعلام، مجالات للتعبير. وقد أمّن الإعلام الجديد ووسائل الاتصال الجديدة مساحات ظهور معقولة للمعارضين الداخليين «العلمانيين» منذ مطلع القرن، أدرجت أكثريتهم عمليا في «سوريا الظاهرة»، وإن كقسم مَسُود، ولم يعودوا فاعلي تغيير سياسي حقيقي بأي معنى. لكن ما أدرجهم فعليا في سوريا الظاهرة هو «خفة الكائن التي لا تطاق»، وقد أصابتهم بفعل فقدان الأجساد خلال ربع القرن الأخير. بفعل الاعتقال المديد، والتقدم في العمر، وتدهور القدرة التعبوية لمنظماتها، كانت الأحزاب القديمة (ومن أوساطها كاتب هذه السطور) تمارس السياسة من دون أجساد، أي في الواقع من دون سياسة. والسنوات المنقضية من هذا القرن هي سنوات بحث الأرواح الهائمة عن أجساد ثابتة مناسبة، وهو بحث سجل إخفاقا ثابتا ومتكررا. السبب على الأرجح قدم الأرواح.

ما يميز نمط الانفعال غير الجسدي في سوريا الظاهرة أن انشغاله داخلي أكثر، ينشغل كثيرا جدا بمواجهة أشباه في سوريا الظاهرة، ويكاد يشارك النظام في عدم رؤية سوريا العميقة. طوال الحكم الأسدي، حجبت سوريا العميقة عن المجال العام، وحجبت المعارضة عن سوريا العميقة. المعارضة التي لم تعد ترى غير النظام، وغير شركائها في سوريا الظاهرة، اقترن عجزها في مواجهة النظام على الدوام بتجاسر شديد على الشركاء المفترضين في المعارضة، يتفوق في صريح مقوله وفي شحنة نبراته غالبا على أقسى ما يقال عن النظام. هذا الصراع الداخلي يجعل مشهد القسم المسود من سوريا الظاهرة أقرب إلى مشهد حرب أهلية، بدون سلاح، لكنها بالغة الضراوة؛ أما مشهد سوريا العميقة فهو مشهد ثورة ضد الأسياد، و«السيد الرئيس» بالاسم، تخاض بالأجساد العزلاء أو المسلحة. الفارق الحاسم أن من يورطون أجسادهم في الصراع يموتون. سقط منهم نحو 12 ألفا خلال 14 شهرا. أما من يبقون بعيدا فلا يموتون طبعا، ليس هناك شهداء من الأحزاب القديمة ولا من المثقفين القدامى والجدد. لكن يبدو أن هؤلاء الأحياء عاجزون عن بث الحياة في أي شيء.

خروج المعارضين التقليديين من السياسة يشرح أن الثورة تفجرت في عالم غير عالمهم وبعيدا عنه، ويفسر أكثر أن أشد انفعالات هذه الأرواح الأثيرية موجهة ضد بعضها. الأجساد لها مصالح، وقد تتوصل إلى تفاهمات سياسية. الأرواح لها مبادئ، والمبادئ لا تتفاهم، ولا سياسة تجمعها. وبالفعل يبدو الصراع بين الأرواح تناحريا، وإن لم يكن مسلحا بفعل قلة الأجساد.

التعارض بين الثورة والمعارضة التقليدية في سوريا متأصل في التباعد بين سوريا العميقة وسوريا الظاهرة. سوريا الأولى «مادية»، على رغم أنها مكوّنة بصورة أساسية من مؤمنين ومتدينين، فيما سوريا الثانية «مثالية»، مكوّنة من أرواح وأشباح تعيش يائسة ومعذبة في عوالمها الخاصة، محرومة بلا نهاية من الجسد.

بين السوريتين ما يشبه جدلية السيد والعبد. السوريون الماديون يعملون على تحرير أنفسهم بالمجازفة بالأجساد، فيما السوريون المثاليون يعجزون عن التحرر لأنهم بلا أجساد. بصراع جسدها مع جسد النظام تنتج سوريا العميقة معاني وقيما، وتنمو في حناياها أرواح حرة، فيما تناور أرواح مثاليي سوريا الظاهرة لسكنى أجساد غيرهم، دونما نجاح.

ملحق النهار 16 / 6 / 2012

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (13067)

دمشق: 314
ريف دمشق: 1262
حمص: 5000
حلب: 482
حماه: 1633
اللاذقية: 301
طرطوس: 34
درعا: 1307
دير الزور: 508
الحسكة: 89
القنيطرة: 21
الرقة: 53
ادلب: 2053
السويداء: 9

1024 عدد العسكريين
12043 عدد المدنيين
580 عدد الإناث
327 عدد الأطفال الإناث
882 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 9 / 6 / 2012
http://vdc-sy.or